29 سلسلة الدروس الثقافية

مظاهر الرحمة

(قبسات من دعاء أبي حمزة)









مظاهر
الرحمـــــــــة

جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة

بيروت . لبنان . المعمورة . الشارع العام

هاتف: ٠١/٤٧١٠٧٠

ص.ب. ٢٤/٥٣ . ٢٥/٣٢٧



الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

الكتاب : مظاهر الرحمة

تأليف : مركز نون للتأليف والترجمة

نشر: جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة

الطبعة الأولى حزيران 2010 م - 1431هـ

مظاهر الرحمة



مركز نون للتّأليف والترجمة

الإعداد والإخراج الالكتروني

www.almaaref.org


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد للّه ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف السفراء وأفضل الأنبياء أبي القاسم محمّد بن عبد اللّه وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين.

يقول تعالى في كتابه المجيد: ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**﴾[١].

المعصومون عليهم السلام معدودون بأسمائهم، أمّا نحن فليس أحدٌ منّا لا يقع في الذنب، وتجدنا نهتمّ بأجسامنا لكي نتجنّب الأمراض ونحافظ عليها، وهذا ما يؤكّد عليه ديننا القويم، لكنّه يؤكّد أيضاً على شيء أهمّ من الجسد وهي الروح، وهي التي بها يكون الإنسان إنساناً، يؤكّد على الروح من أن تتلوّث بالمعاصي، وتتأثّر بالذنوب، المهلكات، فلماذا لا نهتمّ بها؟

نعم، نحن قد أُعطينا الفرصة في هذه الأيّام المحدودة التي نعيشها، وما زالت مفتوحة أمامنا. لكن تعالوا نتعرّف على آثار الذنوب، في الدنيا، وفي البرزخ، وفي الآخرة. عسى أن تكون المعرفة مانعة لنا من اقترافها، أو من التفكير بها والحذر منها، لأنّ المعرفة أحد أهمّ الأسباب التي ينبغي توفّرها في طريق الوصول إلى اللّه سبحانه وتعالى، فإذا تعرّفنا إلى الذنب وآثاره وما يترتّب عليه بُعدنا عنه، ونكون بذلك قد تحلّينا بالصفات التي يجب توفّرها في الإنسان الذي جعله اللّه خليفة له في الأرض وفضّله

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

على كثيرٍ من الملائكة.

هــذا ما نتعرّض له في هــذا الكتاب، الذي عمل عليه مركز نــون للتأليف والترجمة، عســى الله أن يتحــف به الأساتذة الكرام والقــرّاء الأعزّاء، والاستفــادة منه قبل حلول أشهــر النــور، على أمــل أن يكون موعدنا فيها مــع كتابٍ جديد حول شــرحٍ وتعليقٍ لأهمّ فقرات دعاء أبي حمزة الثماليّ، بما يتناسب مع الموعظة الأخلاقيّة، ضمن سلسلة كتب المواعظ، الموسومة بـ«**حياة القلوب**».

ونسألــه أيضاً أن يتقبّل منّا أجمعين، ويجعلنا من العاملين، ويعجّل فرج وليّه صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف إنّه نعم المولى ونعم المجيب.

مركز نون للتأليف والترجمة

١

الدعاء إجابة أم احتجاب

من دعاء أبي حمزة الثماليّ:

«الحمد لله الذي أدعوه فيُجيبني وإن كنت بطيئاً حين يدعوني، والحمد لله الذي أسأله فيعطيني وإن كنت بخيلاً حين يستقرضني، والحمد لله الذي أناديه كلّما شئت لحاجتي، وأخلو به حيث شئت لسرّي، بغير شفيعٍ فيقضي لي حاجتي، الحمد لله الذي لا أدعو غيرَه ولو دعوتُ غيرَه لم يستجب لي دعائي».

الدعاء وأهميّته:

يقـول اللّه سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم : ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾[١].

الدعـاء عبادة يُمارسها الإنسان فـي جميع حالاته. وهو عبارة عن كلام المخلوق مع خالقـه، ويُترجم عمق الصلة بين العبد وربّه، ويعكس حالـة الافتقار المتأصّلة في ذات الإنسان إلى اللّه سبحانه، والإحساس العميق بالحاجة إليه والرغبة فيما عنده.

فالدعـاء مفتاح الحاجات ووسيلة الرغبات، وهو الباب الّذي خوّله تعالى لعباده، كي يلجوا إلى ذخائـر رحمته وخزائن مغفرته، وهو الشفاء من الداء، والسلاح في مواجهة الأعـداء، ومن أقـوى الأسباب الّتي يُستدفع بها البلاء ويُردّ بهـا القضاء. ولذلك، فإنّنا نجـد الدعاء من أبرز القيم الرفيعة عند الأنبيـاء والأوصياء والصالحين عليهم السلام، ومن أهـمّ السنـن المأثورة عنهم؛ قال رسـول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**ألا أدلّكم على سلاح يُنجيكم من أعدائكم ويدرّ أرزاقكم؟**».

قالوا: بلى يا رسول اللّه.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**تدعون ربّكم بالليل والنهار، فإنّ سلاح المؤمن الدعاء**»[٢].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**الدعاء مخّ العبادة، ولا يهلك مع الدعاء أحد**»[٣].

---

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص ٤٦٨، ح ٣.

(٣) بحار الأنوار، العلاّمة المجلسيّ، ج ٣٠٠، ص٩٣.

وفي الحديث القدسيّ: «**يا موسى، سلني كلّ ما تحتاج إليه، حتّى علف شاتك، وملح عجينك**»[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**الدعاء ترس المؤمن، ومتى تُكثر قرع الباب يُفتح لك**»[٢].

وعن الرضا عليه السلام أنّه كان يقول لأصحابه: «**عليكم بسلاح الأنبياء، فقيل: وما سلاح الأنبياء؟ قال: الدعاء**»[٣].

من آداب الدعاء: الابتداء بالحمد

ومن المعلوم أنّ لكلّ أمر عباديّ آدابه وشروطه، والدعاء واحد من أهمّ العبادات في حياة الإنسان، لا سيّما الإنسان المؤمن، فله آدابه الظاهريّة والباطنيّة، ومنها:

تقديم المدحة لله والثناء عليه قبل المسألة: فقد روى الحارث بن المغيرة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**إيّاكم إذا أراد أن يسأل أحدكم ربّه شيئاً من حوائج الدنيا حتّى يبدأ بالثناء على الله عزَّ وجلَّ والمدحة له ، والصلاة على النبيّ (وآله)، ثمّ يسأل الله حوائجه**»[٤].

وقال عليه السلام: «**إنّ رجلاً دخل المسجد وصلّى ركعتين، ثمّ سأل الله عزَّ وجلَّ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أعجلَ العبد ربّه، وجاء آخر فصلّى ركعتين ثمّ أثنى على الله عزَّ وجلَّ وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: سل تعطه**»[٥].

وعن عيص بن القاسم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**إذا طلب أحدكم الحاجة فليثنِ على ربّه وليمدحه، فإنّ الرجل إذا طلب الحاجة من السلطان هيّأ له من**

(١) عدّة الداعي، ابن فهد الحلّي، ص ١٢٣.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص ٤٦٨، ح ٤.

(٣) م. ن، ص ٤٦٩، ح٥.

(٤) م. ن، ص ٤٨٤، ح ١.

(٥) م. ن، ص ٤٨٤، ح ٥.

الكلام أحسن ما يقدر عليه، فإذا طلبتم الحاجة، فمجّدوا الله العزيز الجبّار وامدحوه وأثنوا عليه...»[١].

قد لا يستجاب الدعاء

لكـن مع رعاية الكثير مـن الآداب الظاهرية والباطنيّة، والإلحـاح بالدعاء، نجد أنّ الله سبحانه وتعالى لا يستجيب دعاءنا، ولا تتحقّق آمالنا، فما السرّ في ذلك؟

والجواب عن هذا السؤال أن السرّ يعود لعدّة أسباب:

ألف ـ هناك أشخاص لا يُستجاب دعاؤهم أبداً مهما دعوا:

روى جعفـر بـن إبراهيـم عن أبي عبـد الله عليه السلام قـال: «**أربعـة لا يُسـتجاب لهم دعوة:**

١. رجل جالس في بيته يقول: اللهم ارزقني. فيُقال له: ألم آمرك في الطلب؟

٢. ورجل كانت له امرأة فاجرة، فدعا عليها. فيقال له: ألم أجعل أمرها إليك؟

٣. ورجـل كان لـه مـال فأفسـده، فيقـول: اللّهـمّ ارزقنـي. فيقـال لـه: ألـم آمـرك بالإصلاح (أي الاقتصاد). ثمّ قال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[٢].

٤. ورجل كان له مال فأدانه بغير بيّنة. فيقال له: ألم آمرك بالشهادة؟»[٣].

ب ـ من دعا بقلب قاسٍ أو لاهٍ:

وهـذه مـن أعظم المصائب الّتي يُبتلى بها الإنسـان المؤمن، بحيث يُسلب منه لذيذ مناجـاة الله سبحانـه، فهو يدعو بلسانه، وقلبُـه معلّق بالدنيا ومشاغلهـا، فكيف يتوقّع

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص ٤٨٥، ح ٦.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص٥١١،ح٢.

استجابة دعائه وهو لا يلتفت لما يدعو ومن يدعو؟! بل عليه أن يلتفت بكلّه لمسبّب الأسباب، ويتوجّه بقلبه إلى ربّ الأرباب، حتّى يتوقّع الإجابة.

روى سليمان بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**إنّ الله لا يستجيب دعاء بظهر قلبٍ ساهٍ، فإذا دعوت فأقبل بقلبك ثمّ استيقن بالإجابة**»[(١)].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إنّ الله عزَّ وجلَّ لا يستجيب دعاءً بظهر قلبٍ قاسٍ**»[(٢)].

ج ـ من لم يتقدّم في الدعاء لم يُسمع منه إذا نزل به البلاء:

كثيرٌ من الناس لا يعرف الدعاء إلّا بعد حلول البلاء عليه، وبعد نزول المصائب، فأين كان أيّام الدعة والرخاء؟ ولمَ لم تكن الملائكة تسمع صوته عندما كان معافى وغنيّاً وآمناً؟! فإذا أراد الإنسان أن يُستجاب دعاؤه عند نزول الشدائد والمصائب والابتلاءات ـ وهذه هي حال الدنيا ـ فعليه أن يدعوَ الله سبحانه على كلّ حال، ويستعجل بالدعاء وهو في أمن وأمان، وصحّة وسلام، وغنى وإنعام، فليس الدعاء لدفع الضرر فقط، وإنّما هو لاستدرار الخير أيضاً، وعلى الإنسان أن يلتفت إلى أنّ الشرور والمصائب الّتي يدفعها الله عنه كثيرة جدّاً، ونِعَم الله عليه لا تُحصى. فحريّ به أنْ يدعوه ويشكره على كلِّ حال.

روى هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**من تقدّم في الدعاء استُجيب له إذا أُنزل به البلاء، وقيل: صوت معروف ولم يُحجب عن السماء، ومن لم يتقدّم في الدعاء، لم يُستجب له إذا نزل به البلاء وقالت الملائكة: إنّ هذا الصوت لا نعرفه**»[(٣)].

---

(١) عدّة الداعي، ابن فهد الحلّي، ص ١٢٦.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص ٤٧٤، ح٤.

(٣) م. ن، ص ٤٧٢، ح١.

د ـ من دعا وهو مصرّ على المعاصي لا يُستجاب دعاؤه:

كيف يتوقّع الداعي أنْ يستجيب الله له وهو مصرّ على معصيته!؟ وكيف يتوقّع الخير وهو لا ينفكّ عن فعل الشرّ!؟

عن أبي ذرّ، عن النبيّ ﷺ، في وصيّته له قال: «**يا أبا ذرّ، يكفي من الدعاء مع البرّ ما يكفي الطعام من الملح، يا أبا ذرّ، مثل الّذي يدعو بغير عمل كمثل الّذي يرمي بغير وتر. يا أبا ذرّ إنّ الله يُصلح بصلاح العبد ولدَه وولدَ ولدِه، ويحفظه في دويرته والدور حوله ما دام فيهم**»[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**كان رجل من بني إسرائيل يدعو الله تعالى أنْ يرزقه غلاماً، ثلاث سنين، فلمّا رأى أنّ الله لا يُجيبه قال: يا ربّ، أبعيد أنا منك فلا تسمعني، أم قريب فلا تُجيبني؟ فأتاه آتٍ في منامه قال: إنّك تدعو الله منذ ثلاث سنين بلسانٍ بذيء وقلبٍ عاتٍ غير نقيّ، ونيّة غير صافية (صادقة)، فأقلع عن بذائك، وليتّق الله قلبُك، ولتحسّن نيّتك، ففعل الرجل ذلك عاماً فولد له غلام**»[٢].

وروى علي بن أسباط عن أبي عبد الله عليه السلام: «**مَن سرّه أنْ تُستجابَ دعوته فليطيّب مكسبه**»[٣].

وقال عليه السلام: «**ترك لقمة الحرام أحبّ إلى الله من صلاة ألفي ركعة تطوّعاً**»[٤].

وعنه عليه السلام: «**ردّ دانق حرام يعدل عند الله سبعين حجّة مبرورة**»[٥].

وفيما وعظ الله به عيسى عليه السلام: «**يا عيسى، قل لظَلَمة بني إسرائيل: غسلتم وجوهكم ودنّستم قلوبكم، أبي تغترّون، أم عليَّ تجترئون؟ تتطيّبون بالطيب لأهل**

---

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، آل البيت، ج٧، ص ٨٥، ح ٣.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص ٣٢٥، ح٧.

(٣) وسائل الشيعة الحرّ العاملي، آل البيت، ج٧ باب استحباب ملازمة الداعي للصبر، وطلب الحلال، ح ٢.

(٤) عدّة الداعي، ابن فهد الحلّي، ص ١٢٩.

(٥) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٩٠، ص ٣٧٣.

الدنيا وأجوافكم عندي بمنزلة الجيف المنتنة، كأنّكم أقوام ميّتون.

يـا عيسـى، قل لهم: قلّموا أظفاركم من كسب الحـرام، وأصمّوا أسماعكم عن ذكر الخنا (الفحشاء)، وأقبلوا عليَّ بقلوبكم، فإنّي لست أريد صوركم.

يـا عيسى قـل لظلَمة بني إسرائيل: لا تدعوني والسحت تحت أقدامكم، والأصنام فـي بيوتكـم، فإنّي آليـت (أقسمت) أن أُجيب مـن دعاني، وإنّ إجابتـي إيّاهم لعناً لهم حتّى يتفرقوا»[1].

ظُلم الناس:

كيـف تأمل أن يستجيب لك اللّه وأنت تظلم أحداً مـن عباده، وأنت تظلم أخوتك، أو زوجتك، أو أولادك، أو المسؤول عنهم، أو جيرانك أو أحداً من أهل ملّتك ومذهبك وهم ليسـ لهم ناصرٌ ولا معين غير اللّه؟ أتظنّ أنّـه يُقدِّم دعاءك على دعائهم وأنت تعلم أنّ دعـاء المظلوم لا يحجبه عن اللّه حاجب؟ فلنتّق اللّه، ولنُحاسب أنفسنا على تعاملنا مع الآخرين قبل يوم الحساب، ولنُسارع إلى رفع مظلمتنا عنهم، عسى أن يقبل اللّه توبتنا، ونجوز على الصراط إلى جنّات النعيم.

عن أبي عبد اللّه عليه السلام في قول اللّه عزَّ وجلَّ: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ**﴾[2] قال: «**قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة**»[3].

عـن أبي حمـزة الثماليّ، عن أبي جعفـر عليه السلام قال: «**لما حضر علـي بن الحسين عليه السلام الوفـاة ضمّنـي إلى صدره، ثمّ قال: يا بُنـيّ أوصيك بما أوصاني به أبي عليه السلام حين حضرته الوفاة وبما ذكر أنّ أباه أوصاه به.**

قال: يا بُنيّ إيّاك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلّا اللّه»[4].

---

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، آل البيت، ج٧، ص ١٤٥، ح ٦.

(٢) سورة الفجر، الآية: ١٤.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٣٣١، ح ٢.

(٤) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٣٣١، ح ٥.

من لا يردّ دعاؤه:

عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**كان أبي** عليه السلام **يقول: خمس دعوات لا تحجبن عن الربّ تبارك وتعالى:**

١. دعوة الإمام المقسط (العادل).

٢. ودعوة المظلوم؛ يقول الله عزَّ وجلَّ: لأنتقمنّ لك ولو بعد حين.

٣. ودعوة الولد الصالح لوالديه.

٤. ودعوة الوالد الصالح لولده.

٥. ودعوة المؤمن لأخيه بظهر الغيب، فيقول: ولك مثله»[1].

وعــن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**قال رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم: **إيّاكم ودعوة المظلوم؛ فإنّها تُرفع فوق السحاب حتّى ينظر الله عزَّ وجلَّ إليها فيقول: ارفعوها حتّى أستجيب له، وإيّاكم ودعوة الوالد فإنّها أحدُّ من السيف**»[2].

عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**من قدّم أربعين من المؤمنين ثمّ دعا استُجيب له**»[3].

وعن عبد الله بن طلحة النهديّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**قال رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم: **أربعة لا تُردُّ لهم دعوة حتّى تُفتح لهم أبواب السماء وتصير إلى العرش:**

١. الوالد لولده.

٢. والمظلوم على من ظلمه.

٣. والمعتمر حتّى يرجع.

٤. والصائم حتّى يُفطر»[4].

---

(١) م.ن، ص ٥٠٩، ح ١.

(٢) م.ن، ح ٣.

(٣) م.ن، ح ٥.

(٤) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص ٥٠٩، ح ٦.



المفاهيم الأساس

الدعـاء عبادة يُمارسها الإنسان فـي جميع حالاته، وهو عبارة عن كلام المخلوق مع خالقـه، يترجم عمق الصلة بيـن العبد وربّه، ويعكس حالة الافتقـار المتأصِّلة في ذات الإنسان إلى اللّه سبحانه.

من آداب الدعاء: تقديم المدحة للّه والثناء عليه قبل المسألة.

قد لا يستجيب اللّه سبحانه وتعالى دعاءنا لأسباب:

ألف ـ هناك أشخاص لا يستجاب دعاؤهم أبداً مهما دعوا.

ب ـ من دعا بقلب قاسٍ أو لاهٍ.

ج ـ من لم يتقدّم في الدعاء لم يُسمع منه إذا نزل به البلاء.

د ـ من دعا وهو مصرّ على المعاصي لا يُستجاب دعاؤه.

ظلم الناس من المعاصي الّتي تمنع إجابة الدعاء.

وفي المقابل هناك أشخاص لا يُردّ دعاؤهم، ولا يحجبهم عن اللّه أحد، كدعاء الوالد لولده، والمظلوم على من ظلمه.



للمطالعة:

من هو أبو حمزة الثماليّ؟

هــو ثابت بن دينار، المكنّى بأبي حمزة الثمالــيّ الكوفيّ، رجل العلم الشهير. صَحِب أربعــة من أئمّة أهل البيت عليهم السلام ولازمهم ونشر آثارهم: الإمام السجاد والإمام الباقر والإمام الصادق والإمام الكاظم (عليهم جميعاً سلام الله).

قــال الإمــام أبو عبد الله جعفر بــن محمّد الصــادق عليه السلام بشأنه: «**أبــو حمزة في زمانه مثل سلمان في زمانه**» وكفى به مدحاً وثناءً عليه .

وقــال الإمام أبــو الحسن الرضــا عليه السلام بشأنه: «**أبو حمــزة في زمانــه كلقمان في زمانه. وذلك أنّه خدم أربعة منّا: عليّ بن الحسين ومحمّد بن عليّ وجعفر بن محمّد، وبرهة من عصر موسى بن جعفر** عليهم السلام».

وســأل الإمــام الصادق عليه السلام أبا بصيــر عن أبي حمزة ، فقــال: خلّفته عليلاً. قال الإمــام عليه السلام : «**إذا رجعت إليه فأقرأه منّي السلام...** » قال أبو بصير: جُعلت فداك، والله لقــد كان فيه أُنس وكان لكــم شيعة! قال عليه السلام : «**صدقت. ما عندنا خير له...**». والثناء بشأنه عن لسان الأئمّة كثير، الأمر الّذي ينبئ عن انقطاعه إلى أبوابهم الرفيعة والاستقاء من فيض أحاديثهم الشريفة في مختلف العلوم والمعارف الإسلامية العريقة، وقــد اشتُهــر الدعاء الّذي رواه هو عن الإمام باسمه، فأصبــح معروفاً بدعاء أبي حمزة الثماليّ[١].

---

(١) راجع خلاصة الأقوال للعلامة الحلي، ص ٨٦.

البكاء

من دعاء أبي حمزة الثماليّ:

«وأعنّي بالبكاء على نفسي، فقد أفنيت بالتسويف (التأخير) والآمال عمري، وقد نزّلت نفسي منزلة الآيسين من خيري، فمن يكون أسوء حالاً منّي إن أنا نُقلت على مثل حالي إلى قبرٍ لم أمهّده لرقدتي، ولم أفرشه بالعمل الصالح لضجعتي. وما لي لا أبكي! ولا أدري إلى ما يكون مصيري، وأرى نفسي تُخادعني، وأيّامي تُخاتلني (تُخادعني عن غفلة) وقد خفقت عند رأسي أجنحة الموت، فما لي لا أبكي أبكي لخروج نفسي، أبكي لحلول رمسي (قبري وما يُحثى عليه من التراب) أبكي لظلمة قبري، أبكي لضيق لحدي، أبكي لسؤال منكر ونكير إيّاي، أبكي لخروجي من قبري عرياناً ذليلاً، حاملاً ثقلي على ظهري، أنظر مرّة عن يميني، وأخرى عن شمالي، إذ الخلائق في شأن غير شأني ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ وذلّة»..

الحزن والبكاء

تمهيد:

لا يُمكـن الحديـث عن البـكاء دون الحديـث عن الحــزن، لأنّ البكاء وليـد المرتبة الشديدة للحزن، لذلك نبدأ ببيان مختصر للحزن:

الحــزن: هــو حالة نفسانيّــة أودعها اللّه سبحانــه وتعالى في النفســ الإنسانيّة، في مقابل الفرح والسرور، وللحزن مناشئ متعدّدة:

١ ـ فتارة ينشأ عن التأسّف على أمور ممتنعةٍ لا يُمكن إعادتها أو تداركها، كمن يحزن علــى مــوت حبيب أو عزيز عليه. وهذا النوع من الحــزن لا إراديّ، ولكن لا بُدّ من توجيهه كي لا يخرج عن حدّ الاعتدال.

٢ ـ وثانيةً ينشأ عن التوجُّع على أمرٍ قد فات وانقضى، لكن يُمكن تداركه أو التعويض عنــه بالتوبة مثلاً أو بالقضاء. وهذا النوع لا بُدّ من استغلاله والاستفادة منه كي يوصل صاحبه إلى الكمال الإنسانيّ.

٣ ـ وثالثة قد ينشأ عن الخوف من أمرٍ دنيويّ أو أخرويّ مجهول لنا.

فوائده: ومهما كان منشأ الحزن فإنّه لشدّة تفاعل الإنسان معه يولّد البكاء والدموع، وقد يدفع بالإنسان نحو الكمال، ونحو تدارك الأمور في المورد الّذي يُمكن تداركه، كما أنّ السرور والفــرح الزائد والشديد يُميت القلب ويبعث على التميّع واللامبالاة، ويُسبّب الأشر والبطر، ويؤدّي للبعد عن اللّه سبحانه وتعالى، وهو من أعظم المهلكات.

لكن قد يشلّ الحزن بعض الناس عن العمل الاجتماعيّ، وعن الانشراح أمام الإخوان والأهـل والناس أجمعين، ما ينعكس على حياته فينقبض الناس في المقابل عنه وتتغيّر حياة هذا الشخص الاجتماعيّة.

البكاء لا يفضح

لـو كان كلّ شخصٍ يبكي على ذنب اقترفـه، أو معصية اقترفها، لمـا بكى أحدٌ من النـاس خوفَ الفضيحـة، ولكنّ الله سبحانه وتعالى أخفى سـرّ البكاء في قلوب الناس، وجعـل للبـكاء أسباباً متعـدّدة، فمنهم من يبكي ممّـا جنت يداه وارتكبـت من خطيئة، ومنهم من يبكي من خشية الله، ومنهم من يبكي فرحاً وقرباً، ومنهم من يبكي استزادة وتطلّعاً، وقد أجاد الشاعر في هذا المضمون حيث قال:

إلـهي بكت للقرب منك عصـابـةٌ وما كـلّ من يبكي لديك له ذنب

وبهذا نُفسّر بكاء الأولياء المعصومين عليهم السلام، فإنّه نوع من البكاء لا يُدرِك معناه إلا هم، ولا يشعر بلذّته غيرهم.

حزن أم فرح؟

والّذي يدعو إليه أهل البيت عليهم السلام هو الاعتدال في الأمور، فعن أمير الكلام علي بن أبـي طالب عليه السلام في النهج الشريف وهو يصف الإنسـان المؤمن: «**المؤمن بشره في وجهه** [(١)]، **وحزنه في قلبه. أوسع شيء صدراً، وأذلّ شيء نفساً**[(٢)]. **يكره الرفعة، ويشنؤ السمعـة. طويـلٌ غمّه. بعيدٌ همّـه. كثيرٌ صمته. مشغولٌ وقتـه**»[(٣)]. فنُلاحظ الاعتدال في أوصافه، لأنّ الحزن وحده يؤدّي بصاحبه إلى الانقباض في المجتمع، وبالتالي بُعده عـن الناس وبُعد النـاس عنـه، وكذلك البِشْر والسرور وحده يوصـل صاحبه إلى الترف

---

(١) البشاشة والطلاقة، أي لا يظهر عليه إلا السرور وإن كان في قلبه حزيناً. كناية عن الصبر والتحمّل.

(٢) ذلّ نفسه لعظمة ربّه وللمستضعفين من خلقه وللحقّ إذا جرى عليه. وكراهته للرفعة: بغضه للتكبّر على الضعفاء، ولا يحبّ أن يسمع أحد بما يعمل لله، فهو يشنؤ أي يبغض السمعة، وطول غمّه خوفاً ممّا بعد الموت. وبُعد همّه لأنّه لا يطلب إلاّ معالي الأمور.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٣٣٣، ص ٧٨ـ ٧٩.

والبطالــة والاستهتــار بالأمــور، ولكن متى ما اجتمــع الحزن مع الفرح فــي قلب واحد، بمعنــى أن يكــون الحزن الإلهيّ في القلب، حزن على تقصيــره وما قدّم في حياته، وفي نفس الوقت يُظهر البِشْر والفرح والسرور للناس؛ لأنّه مأمور بذلك أمام الناس، عندها تظهــر حالة الاعتدال لهــذا الإنسان، ويكون كلٌّ من هاتيــن الصفتين (الحزن والفرح) كمالاً للإنسان، في مجتمعه ودينه ودنياه وآخرته.

صفة المتّقين

وعنه عليه السلام في صفة المتّقين: «**قلوبهـم محزونة، وشرورهم مأمونة. وأجسادهم نحيفـة، وحاجاتهـم خفيفـة، وأنفسهم عفيفـة. صبروا أيّامـاً قصيـرةً أعقبتهم راحة طويلـة. تجـارة مربحـة يَسّرها لهـم ربّهـم. أرادتهم الدنيا فلـم يُريدوهـا. وأسرتهم ففـدَوا أنفسهـم منهـا. أمّـا الليـل فصافّـون أقدامهم تالين لأجـزاء القـرآن يرتّلونه ترتيلاً. يُحزِّنون به أنفسهم ويستثيرون به دواء دائهم**»[1].

ومــن الواضح في كلام الأمير عليه السلام أنّ هــؤلاء المتّقين يكون الحزن في قلوبهم، لا يظهــر على وجوههم، ولا تعرف في سيماهم الحــزن، لأنّ متطلّباتهم خفيفة، وأنفسهم تزهد عن التطلّع إلى ما في أيدي الناس فهي عفيفة، لذلك لا أحد يضجر منهم.

بُكاء الخشية:

هنــاك روايــات عديدة تمــدح بعض أنــواع البُكاء لمــا يترتّب عليه من آثــار معنويّة، فــي الدنيا والآخــرة، منها البُكاء من خشيــة الله سبحانه وتعالى؛ فقــد ورد عن الإمام الصــادق عليه السلام عن آبائــه عليهم السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في حديث المناهي قال: «**ومن ذرفت عينـاه مـن خشيـة الله كان لـه بكلّ قطـرة قطرت من دموعـه قصر في الجنّـة، مكلّل بالـدرّ والجوهـر، فيـه مـا لا عيـن رأت، ولا أذن سمعـت، ولا خطـر على قلـب بشر**»[2].

(١) نهج البلاغة من خطبة له في وصف المتّقين، الخطبة ١٩٣، ص١٦٢.

(٢) وسائل الشيعة، آل البيت، الحرّ العامليّ، ج ١١، الباب ١٥ من جهاد النفس، ح ١.

ولا استغراب ولا تعجّب من أن تؤثّر قطرةٌ واحدةٌ هذا الأثر العظيم، لأنّ هذه القطرة الذارفة من خشية الله نابعة من وجود إنسان يتحلّى حينها بأمرين:

١ ـ تحوّل عظيم في نفسه، فهو أثناء الحزن وما يُرافقه من انسكاب الدمعة متفاعلٌ بشكلٍ كاملٍ مع الله سبحانه، مع أوامر الله ونواهيه، فتتجلّى عظمة الله في القلب ليتحوّل إلى الخشوع، ويُرافقه الندم والتأسُّف على ما فرّط في ساحة القدس الإلهيّة، وعلى ما ارتكبه من معاصٍ، وهذا الندم يوجب غفران الذنوب، فقد ورد عن الحسن بن عليّ العسكريّ، عن آبائه عليهم السلام قال: قال الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ الرجل ليكون بينه وبين الجنّة أكثر ممّا بين الثرى إلى العرش؛ لكثرة ذنوبه، فما هو إلّا أن يبكي من خشية الله عزَّ وجلَّ ندماً عليها حتّى يصير بينه وبينها أقرب من جفنه إلى مقلته**»[(١)]. وكأنّ هذا البكاء ملازم لتحقّق سائر شرائط التوبة.

٢ ـ اقتراب عاطفيّ كبيرٌ من الله جلّ ثناؤه، ما يعني تفاعل النفس أكثر من ذي قبلٍ مع الله سبحانه، لذا على الباكي أن يستغلّ هذه النفحة الإلهيّة، ويغتنم هذه الفرصة الّتي يكون فيها حزيناً باكياً، لأنّها لا تحصل دائماً ومتى شاء.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**ما من شيءٍ إلّا وله كيلٌ ووزن، إلّا الدموع، فإنّ القطرة تُطفئ بحاراً من نار، فإذا اغرورقت العين بمائها لم يُرهق وجهه قترٌ ولا ذلّة، فإذا فاضت حرّمها الله على النار، ولو أنّ باكياً بكى في أمّة لرُحموا**»[(٢)].

وعن أبي أيوب، عن الرضا عليه السلام قال: «**كان فيما ناجى الله به موسى عليه السلام أنّه ما تقرّب إليّ المتقرّبون بمثل البكاء من خشيتي، وما تعبّد لي المتعبّدون بمثل الورع عن محارمي، ولا تزيّن لي المتزيّنون بمثل الزهد في الدنيا عمّا يهمّ الغنى عنه.**

(١) م. س. الوسائل، ح ١٠.
(٢) م. ن. ح ١١.

فقال موسى عليه السلام: يا أكرم الأكرمين فما أثبتهم على ذلك؟

فقال: يا موسى أمّا المتقرّبون لي بالبكاء من خشيتي فهم في الرفيق الأعلى لا يُشركهم فيه أحد، وأمّا المتعبّدون لي بالورع عن محارمي فإنّي أُفتّش الناس عن أعمالهم ولا أُفتّشهم حياءً منهم، وأمّا المتزيّنون لي بالزهد في الدنيا فإنّي أُبيحهم الجنّة بحذافيرها، يتبوّؤن منها حيث يشاؤون»(١).

وعن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليهما السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: طوبى لصورةٍ نظر الله إليها تبكي على ذنب من خشية الله لم يطّلع على ذلك الذنب غيره»**(٢).

بُكاء الخوف

وهذا نوع من البُكاء موجود عند كلّ الناس، حيث إنّ النفس البشريّة جُبلت على الراحة والدعة والطمأنينة، فهي تسعى لذلك في كلّ حالاتها، وإذا ما فكّرت بالمجهول خافت واضطربت، لذلك عندما تُفكّر بما سيكون مصيرها تفزع وتبكي، فلو فكّرت بالموت من رؤية ملك الموت إلى تقطّع الأوصال، إلى نزع الروح، إلى فراق الدنيا والأهل والأحباب، إلى خسارة العمر وما كان فيه من التسويف والآمال، ومن ثمّ لو فكّرت بالقبر وضيقه وظلمته، وبسؤال منكر ونكير، وبما سيجري على الجسد في القبر، وبالبعث والنشور للحساب، وبالوقوف بين يدي جبّار السماوات والأرض، وبالحساب والصراط، لو فكّرت بهذه الأمور واحدة تلو الأخرى لخرجت عن طورها، وخافت واضطربت، وبالتالي ستبكي لأنّ مصيرها في كلّ هذه الأمور مجهول لديها، وهذا الإمام (سلام الله عليه) يصف هذه الحال في دعاء السحر المشهور: «**وأعنّي بالبُكاء على نفسي، فقد أفنيت بالتسويف والآمال عمري، وقد نزلت منزلة الآيسين من خيري، فمن يكون أسوأ حالاً منّي، إن أنا نُقلت على مثل حالي، إلى**

---

(١) م. س، الوسائل، ح ٩.

(٢) م.ن. ح٧.

قبرٍ لم أمهّده لرقدتي، ولم أفرشه بالعمل الصالح لضجعتي، وما لي لا أبكي وما أدري إلى ما يكون مصيري، وأرى نفسي تُخادعني، وأيّامي تُخاتلني، وقد خفقت عند رأسي أجنحة الموت، فما لي لا أبكي؟ أبكي لخروج نفسي، أبكي لظلمة قبري، أبكي لضيق لحدي، أبكي لسؤال منكرٍ ونكيرٍ إيّاي، أبكي لخروجي من قبري عرياناً ذليلاً حاملاً ثقلي على ظهري...».

﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[1].

(١) سورة مريم، الآية: ٥٨.



للمطالعة:

﴿وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾[1].

شأن النزول:

نزلت في البكّائين، وهم سبعة نفر: عبد الرحمن بن كعب، وعتبة بن زيد، وعمرو بن غنمة، وهؤلاء من بني النجّار، وسالم بن عمير، وهرم بن عبد الله، وعبد الله بن عمرو بن عوف، وعبد الله بن معقل، من مزينة، جاءوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله! احملنا فإنّه ليس لنا ما نخرج عليه. فقال: لا أجد ما أحملكم عليه[2].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن فاطمة بنت أسد أمّ أمير المؤمنين كانت أوّل امرأة هاجرت إلى رسول الله ﷺ من مكّة إلى المدينة على قدميها وكانت من أبرِّ الناس برسول الله ﷺ،... فبينما هو ذات يوم قاعد إذ أتاه أمير المؤمنين عليه السلام وهو يبكي فقال له رسول الله ﷺ: ما يُبكيك؟ فقال: ماتت أمّي فاطمة، فقال رسول الله: وأمّي والله وقام مُسرعاً حتى دخل فنظر إليها وبكى، ثمّ أمر النساء أن يغسلنها وقال ﷺ: إذا فرغتنّ فلا تُحدِثن شيئاً حتّى تُعلِمنني، فلمّا فرغن أعلمنه بذلك، فأعطاهنّ أحد قميصيه الّذي يلي جسده وأمرهنّ أن يُكفّنّها فيه، وقال للمسلمين: إذا رأيتموني قد فعلت شيئاً لم أفعله قبل ذلك فسلوني لِمَ فعلته، فلما فرغن من غسلها وكفّنّها دخل ﷺ فحمل جنازتها على عاتقه، فلم يزل تحت جنازتها حتى أوردها قبرها، ثم وضعها ودخل القبر فاضطجع فيه، ثمّ قام فأخذها على يديه حتّى وضعها في القبر ثمّ انكبَّ

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٩٢.

(٢) تفسير مجمع البيان، الطبرسي، ج٥ ، ص ١٠٤.

عليها طويلاً يُناجيها ويقول لها: ابنك، ابنك، ابنك ثمّ خرج وسوّى عليها، ثمّ انكبَّ على قبرهـا فسمعـوه يقول: لا إله إلا الله، اللّهـمّ إنّي أستودعها إيّاك ثـمّ انصرف، فقال له المسلمون: إنّا رأيناك فعلت أشياء لم تفعلها قبل اليوم فقال: اليوم فقدت برَّ أبي طالب، إن كانـت ليكـون عندها الشيء فتؤثرني به على نفسها وولدهـا وإنّي ذكرت القيامة وأنّ النـاس يُحشـرون عراة، فقالت: وا سوأتـاه، فضمنت لها أن يبعثهـا الله كاسية وذكرتُ ضغطـة القبر فقالت: وا ضعفـاه، فضمنت لها أن يكفيها الله ذلـك، فكفّنتها بقميصي واضطجعت في قبرها لذلك، وانكببت عليها فلقّنتها ما تُسأل عنه فإنّها سُئلت عن ربّها فقالت وسُئلت عن رسولها فأجابت وسُئلت عن وليّها وإمامها فارتجَّ عليها، فقلت: ابنك، ابنك، ابنك»[١].

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٤٥٤.

٣

ذكر الله شفاء القلوب

من دعاء أبي حمزة الثماليّ:

«اللهمّ أشغلنا بذكرك وأعذنا من سخطك وأجرنا من عذابك وارزقنا من مواهبك وأنعم علينا من فضلك وارزقنا حجّ بيتك وزيارة قبر نبيّك صلواتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك عليه وعلى أهل بيته إنّك قريب مجيب، وارزقنا عملاً بطاعتك وتوفّنا على ملّتك وسُنّة نبيّك صلى الله عليه وآله وسلم».

تمهيد:

لقـد مـنّ اللّه سبحانه وتعالى علـى الأمّة الإسلامية بـأن لم يجعل لهـا وقتاً محدّداً ومنحصـراً للاتصال به، كما ولم يحصر ذلك في مكان معيّن، وإنّما هو حبيب وجليس مـن ذكره، وهو مجيب من دعـاه وذكره، فقد ورد في الحديـث أنّ جبرائيل عليه السلام قال للنبـيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّ الله تعالـى يقـول: أعطيت أمّتك ما لـم أُعطه أمّة مـن الأمم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: وما ذاك يا جبرائيل؟ قال عليه السلام: قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ ولم يقل هذه لأحد من الأمم**»[١].

ومـن المعلـوم أنّ طبيعـة الإنسان تميل إلى الاجتمـاع، وتحبّ المؤانسـة والصحبة، وتهرب من الوحدة والفراغ، لذلك نجد الإنسان دائماً يسعى ليكون عنده صديق أو رفيق أو جليس. ويسعد الإنسان كلّما كثر جلساؤه ورفقاؤه، ولكن عليه أن ينتبه من أنّ الجلساء علـى نحوين، منهم من هو ذاكـر للّه سبحانه، ومنهم من هو غافل عن ذكره، وخير من نصـح ابنه في ذلك لقمان الحكيـم حيث قال له: «**يا بنيّ اختـر المجالس على عينك، فـإن رأيـت قومـاً يذكـرون الله عزّ وجلّ فاجلس معهم، فإن تكن عالمـاً نفعك علمك، وإن تكـن جاهـلاً علّموك، ولعلّ الله أن يظلّهم برحمته فيعمّك معهم، وإذا رأيت قوماً لا يذكـرون الله فـلا تجلس معهم، فإن تكـن عالماً لم ينفعك علمك، وإن كنت جاهلاً يزيدوك جهلاً، ولعلّ الله أن يظلّهم بعقوبة فيعمّك معهم**»[٢].

---

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ٥، ص ٢٨٦.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٣٩، باب مجالسة العلماء.

أهمية ذكر الله:

إنّ قيمة ذكر الله وأهميّته كبيرة جدّاً. والله تبارك وتعالى قال في محكم كتابه العزيز: ﴿**وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ**﴾[١].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا تختارن على ذكر الله شيئاً فإنّه يقول: ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾**»[٢].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**ليس عمل أحبّ إلى الله تعالى ولا أنجى لعبد من كلّ سيّئة في الدنيا والآخرة من ذكر الله.**

قيل: ولا القتال في سبيل الله؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: **لولا ذكر الله لم يؤمر بالقتال**»[٣].

لذا فإنّ ذكر الله تعالى بلا شكّ خير عمل نقوم به في هذه الدنيا الفانية، وهو أفضل ما ندّخره لساعة السؤال، وأثقل ما نجده في الميزان يوم الحساب، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ألا أُخبركم بخير أعمالكم لكم، أرفعها في درجاتكم، وأزكاها عند مليككم، وخير لكم من الدينار والدرهم، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتقتلوهم ويقتلوكم؟ فقالوا: بلى، فقال: ذكر الله عزَّ وجلَّ كثيراً**»[٤].

أما حقيقة الذكر فقد عبّر عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «**من أطاع الله عزَّ وجلَّ فقد ذكر الله وإن قلّت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن**»[٥].

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

(٢) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج٧٤، ١٠٧.

(٣) ميزان الحكمة، الريشهري، ج٢، ص٩٦٥.

(٤) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص ٤٩٩.

(٥) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج٧٤، ص٨٧.

ذكر الله بُكرةً وأصيلا:

وكفيـل لهـذا الذكر بـأن يمحو السيّئـات الّتي يقترفهـا الإنسان بين مطلـع الشمس وغروبهـا، وذلـك ما لو ذكـر اللّه في الصبـاح، وذكره أيضـاً في المسـاء، ففي تفسير العيّاشـي: عـن جابر، عن أبي جعفـر عليه السلام، قال: «**قـال النبـيّ صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ الملك يُنزل الصحيفة أوّل النهار وأوّل الليل، يكتب فيها عمل ابن آدم، فأمّلوا في أوّلها خيراً، وفي آخرهـا خيـراً، فإنّ الله يغفـر لكم ما بين ذلك، إن شاء الله، فإنّ الله يقول: «فاذكروني أذكركم»**[1].

قـال تعالـى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾[2]، وقال: ﴿**وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلا**﴾[3].

بـل ذكرُ اللّه حسنٌ على كلِّ حـال، حال القيام والقعود، حال الحـزن والسرور، حال الضيـق والفرج... قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ**﴾[4] ومن وصايا الإمـام علـي عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام - عنـد الوفاة - قال: «**وكـن لله ذاكراً على كل حال**»[5].

أقم الصلاة لذكري:

إنّ الذاكـر بمنزلـة المصلّي والقائـم بين يدي اللّه تعالـى: ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**﴾[6].

---

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ٥، ص ٢٩٥.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١ و٤٢.

(٣) سورة الإنسان، الآية: ٢٥.

(٤) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠ ـ ١٩١.

(٥) أمالي الطوسي، ص ٨.

(٦) سورة طه، الآية: ١٤.

يقـول الإمـام الباقر عليه السلام: «**لا يزال المؤمن في صلاة ما كان في ذكر الله، قائماً كان أو جالساً أو مضطجعاً، إن الله تعالى يقول: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَ...﴾**»[١].

«**اللهم.. أسألك بحقّك وقدسك وأعظم صفاتك وأسمائك أن تجعل أوقاتي من الليل والنهار بذكرك معمورة، وبخدمتك موصولة، وأعمالي عندك مقبولة، حتّى تكون أعمالي وأورادي كلُّها ورداً واحداً، وحالي في خدمتك سرمداً**»[٢].

خصوصيّة ذكر الله في بعض المواقف:

هناك بعض المواقف والأوضاع قد خصّها اللّه تعالى بذكره والاستعانة به، منها:

أ - عند لقاء العدو وقتاله، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾**[٣]، وعن الإمام عليّ عليه السلام: «**إذا لقيتم عدوّكم في الحرب فأقلّوا الكلام واذكر الله عزَّ وجلَّ**»[٤].

ب - عند دخول الأسواق والتبضّع، ورد عن الإمام عليّ عليه السلام: «**أكثروا ذكر الله عزَّ وجلَّ إذا دخلتم الأسواق عند اشتغال الناس، فإنّه كفّارة للذنوب وزيادة في الحسنات، ولا تُكتبوا في الغافلين**»[٥].

وعن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**من ذكر الله في السوق مخلصاً عند غفلة الناس وشغلهم بما فيه كتب الله له ألف حسنة ويغفر الله له يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر**»[٦].

ج - عند الهمّ والحكم والقسمة، قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**اذكر الله عند همّك إذا هممت،**

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٧٩.

(٢) من دعاء الإمام علي عليه السلام، الذي علّمه لكميل.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٤٥.

(٤) الكافي، الشيخ الكليني، ج٥، ص٤٢.

(٥) الخصال، الشيخ الصدوق، ص٦١٤.

(٦) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٨٦، ص١٣٠.

وعند لسانك إذا حكمت، وعند يدك إذا قسمت»[١].

د - عنــد الغضــب، قال رسول الله ﷺ: «**أوحـى الله إلى نبيّ مـن أنبيائه: ابن آدم، اذكرني عند غضبك أذكرك عند غضبي، فلا أمحقك فيمن أمحق**»[٢].

هـ - في الخلوات وعند اللّذّات، قال الإمــام الباقر عليه السلام: «**في التوراة مكتوب: ... يـا موسى... اذكرني فـي خلواتك وعند سرور لذّاتك أذكرك عند غفلاتك**»[٣]، وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**شيعتنا الّذين إذا خلوا ذكروا الله كثيراً**»[٤].

صفات أهل الذكر:

١- ذكرُ اللّه سبحانه من سجيّة المتّقين المؤمنين وشيمهم، قال الإمام عليّ عليه السلام: «**ذكـرُ الله شيمة المتّقيـن**»[٥]، وعنه عليه السلام: «**ذكرُ الله سجيّة كلّ محسن وشيمة كلِّ مؤمن**»[٦].

٢- المؤمــن هو في ذكر دائم وتفكير مستمرّ، قال الإمام عليّ عليه السلام: «**المؤمن دائم الذكر، كثير الفكر، على النعماء شاكر، وفي البلاء صابر**»[٧].

بـل لا تلهي المؤمنين عن ذكر الّله تعالى ملذّات الدنيا وهمومها، قال تعالى: ﴿**رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ**﴾[٨].

قال الإمام الباقر عليه السلام: «**كأنّ المؤمنين هم الفقهاء أهل فكرة وعبرة، لم يُصمّهم**

---

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ،، ج٧٤، ص١٧١.
(٢) م. ن، ج٧٢، ص٣٢١.
(٣) أمالي المفيد، ص٢١٠.
(٤) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص٥٠٠.
(٥) غرر الحكم، الآمدي، ح ٣٦١٥.
(٦) غرر الحكم، الآمدي، ح ٣٦١٧.
(٧) غرر الحكم، ح ١٥٣٣.
(٨) سورة النور، الآية: ٣٧.

عن ذكر الله ما سمعوا بآذانهم، ولم يُعمهم عن ذكر الله ما رأوا من الزينة»[١].

٣- الذاكرون لا يملّون من ذكره، قال الإمام الباقر عليه السلام - في صفة أبناء الآخرة -: **«لا يملّون من ذكر الله»**[٢].

وقد يعيش المؤمن حالة الصمت الطويل إلّا من ذكر الله تعالى، قال الإمام عليّ عليه السلام: **«طوبى لمن صمت إلّا بذكر الله»**[٣].

قال أمير المؤمنين عليه السلام، في صفة المؤمن التقيّ: **«إن كان في الغافلين، كُتب من الذاكرين، وإن كان في الذاكرين، لم يُكتب من الغافلين»**.

٤- حبُّ مجالس الذكر والتزوّد منها، كمجالس ذكر نعم الله تعالى وعظمة إعجازه في الخلق، فضلاً عن حضور مجالس ذكر محمّد وآل محمّد عليهم السلام الّذين هم الوسيلة إلى ذكر الله سبحانه وطاعته، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«ارتعوا في رياض الجنّة.**

قالوا: يا رسول الله، وما رياض الجنّة؟

قال: **مجالس الذكر»**[٤].

في كتاب الإرشاد: عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: **«إنّ الملائكة يمرّون على حلق الذكر، فيقومون على رؤوسهم، ويبكون لبكائهم، ويؤمّنون على دعائهم، فإذا صعدوا إلى السماء، يقول الله: يا ملائكتي أين كنتم؟ وهو أعلم، فيقولون: يا ربّنا، إنّا حضرنا مجلساً من مجالس الذكر، فرأينا أقواماً يُسبِّحونك ويُمجِّدونك ويُقدِّسونك، يخافون نارك، فيقول الله سبحانه: يا ملائكتي أذودها عنهم، وأُشهدكم أنّي قد غفرت لهم، وأمنتهم**

---

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج٧٠، ص٣٦.

(٢) م. ن، ج٧٥، ص١٦٦.

(٣) غرر الحكم، ح ٣٦٢٣.

(٤) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ،، ج٩٠، ص١٦٣.

ممّا يخافون، فيقولون: ربّنا، إنّ فيهم فلاناً، وإنّه لم يذكرك، فيقول الله سبحانه: قد غفرت له بمجالسته لهم، فإنّ الذاكرين من لا يشقى بهم جليسهم»[١].

مقام الذاكرين عند الله:

١- إنّ الذاكر لله تعالى يكون أخصّ عباد الله المقرّبين إليه، قال رسول الله ﷺ - وقد قال رجل أمامه: أُحبُّ أن أكون أخصّ الناس إلى الله تعالى -:

قال ﷺ: «**أكثِرْ ذكر الله تكن أخصَّ العباد إلى الله تعالى**»[٢].

٢- إنّ الذاكر لله تعالى هو من المكرّمين بل هو أكرم خلق الله جلّ جلاله، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال - لما سُئِل: من أكرم الخلق على الله؟ -:

قال عليه السلام: «**أكثرهم ذكراً لله وأعملهم بطاعته**»[٣].

٣- ومن مقامات الذاكرين لله سبحانه نيلهم وسام شرف ذكر الله جبّار السموات والأرضين، قال عليه السلام - أيضاً -: «**يا من ذكره شرف للذاكرين، ويا من شكره فوز للشاكرين، ويا من طاعته نجاة للمطيعين، صلِّ على محمد وآله، وأشغِل قلوبنا بذكرك عن كلِّ ذِكر**»[٤].

٤- يُعتبر الذاكر جليس الله، قال الإمام عليّ عليه السلام: «**ذاكر الله سبحانَهُ مُجالِسُه**»[٥] وورد عن رسول الله ﷺ قوله: «**قال موسى: يا ربّ،**

أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأُناديك؟

فإنّي أُحسّ صوتك ولا أراك، فأين أنت؟

---

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ٥، ص ٢٨٩.

(٢) ميزان الحكمة، الريشهري، ج٢، ص٩٦٥.

(٣) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج٧٥، ص٢٤٧.

(٤) الصحيفة السجادية،الدعاء ١١.

(٥) غرر الحكم، ح ٣٦٥١.

فقال الله: أنا خلفك وأمامك وعن يمينك وعن شمالك.

يا موسى، أنا جليس عبدي حين يذكرني، وأنا معه إذا دعاني»[١].

وهو القائل عزَّ وجلَّ: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ**﴾[٢].

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام - في الدعاء - «**إلهي أنت قلت وقولك الحق.. (فاذكروني أذكركم) فأمرتنا بذكرك ووعدتنا عليه أن تذكرنا تشريفاً لنا وتفخيماً وإعظاماً، وها نحن ذاكروك كما أمرتنا، فأنجز لنا ما وعدتنا يا ذاكر الذاكرين»**[٣].

آثار ذكر الله على المؤمن:

١- قلوب الذاكرين هي دوماً مطمئنة، لأنّها تحيا بذكر اللّه تبارك وتعالى ولا تخلو منه، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[٤].

جاء في دعاء للإمام زين العابدين عليه السلام: «**إلهي بك هامت القلوب الوالهة، وعلى معرفتك جُمعت العقول المتباينة، فلا تطمئن القلوب إلا بذكراك، ولا تسكن النفوس إلا عند رؤياك»**[٥].

٢- يعيش الذاكرون لذّة الذكر الإلهيّ وعشقه ومحبّته.. فهنيئاً لمن ينال هذا الأثر العظيم، قال الإمام عليّ عليه السلام: «**الذكر لذّة المحبّين»**[٦]، وعنه عليه السلام: «**ذكر الله مسرّة كلّ متّقٍ ولذّة كلّ موقن»**[٧]. وعنه عليه السلام: «**الذكر مفتاح الأنس»**[٨].

وقد أوضح الأمير عليه السلام هذا الأثر بشكل عمليّ حينما قال: «**إذا رأيت الله يؤنسك**

(١) ميزان الحكمة، ج٢، ص٩٦٨.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.
(٣) الصحيفة السجّاديّة، ص٤٢٠.
(٤) سورة الرعد، الآية: ٢٨.
(٥) الصحيفة السجّاديّة، ص٤١٩.
(٦) غرر الحكم، ح ٣٦٤٩.
(٧) م.ن، ح ٣٦٥٣.
(٨) م.ن، ٣٦٤٨.

بذكره فقد أحبّك، إذا رأيت الله يؤنسك بخلقه ويوحشك من ذكره فقد أبغضك»[١].

وعنــه عليه السلام : «**يقول الله عزَّ وجلَّ: إذا كان الغالـب على العبد الاشتغال بي، جعلت بغيتـه ولذّتـه فـي ذكـري، فإذا جعلـت بغيتـه ولذّته في ذكـري عشقني وعشقتـه، فإذا عشقني وعشقته رفعت الحجاب فيما بيني وبينه، وصيّرت ذلك تغالباً عليه، لا يسهو إذا سها الناس، أولئك كلامهم كلام الأنبياء، أولئك الأبطال حقّاً»**[٢].

٣ - إنّ فـي ذكـر الله تعالـى صلاح الـروح والقلـب وشفاءهما من مرض الذنوب والآثـام، فضــلاً عن تحسيـن السلوك والأفعـال، قال رســول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «**ذكر الله شفاء القلوب**»[٣]، وفي دعاء كميل: «**يا من اسمه دواء وذكره شفاء**».

وقـال الإمام علـيّ عليه السلام : «**من عمّـر قلبه بـدوام الذكـر حسنـت أفعاله فـي السرّ والجهر**»[٤].

وعنه عليه السلام : «**أصل صلاح القلب اشتغاله بذكر الله**»[٥].

وأيضاً عنه عليه السلام : «**مداومـة الذكر قوت الأرواح ومفتاح الصلاح**»[٦]. بل من الآثار المباركة لذكر الله تعالى حياة القلوب ونورها، فعن الإمام عليّ عليه السلام : «**في الذكر حياة القلوب**»[٧]، وعنه عليه السلام : «**عليك بذكر الله، فإنّه نور القلوب**»[٨].

٤ - إنّ فــي ذكر الله تبارك وتعالى هدايــة العقول وتبصرتها نحو طريق الحقّ، قال أميــر المؤمنين عليه السلام : «**الذكر جلاء البصائر ونـور السرائر**»[٩]، وعنه عليه السلام :

---

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج٢، ص٩٧٠.

(٢) م. ن، ج٢، ص٩٧٢.

(٣) م. ن، ص٩٧٠.

(٤) م. ن، ص٩٦٩.

(٥) غرر الحكم، ح ٣٦٨.

(٦) ميزان الحكمة، الريشهري، ح٢، ص٩٦٩.

(٧) غرر الحكم، ح ٣٦٤٣.

(٨) م. ن، ح ٣٦٤٢.

(٩) ميزان الحكمة، الريشهري، ج٢، ص٩٧٠.

«الذكر هداية العقول وتبصرة النفوس»[١].

٥- وبذكر الله سبحانه تُستنزل الرحمة الإلهية وتُفتح أبواب البركات، قال أبو الحسنين عليه السلام: **«الذكر يؤنس اللبّ ويُنير القلب ويستنزل الرحمة»**[٢].

٦- وذكر الله مَطردة للشيطان كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«ذكر الله مَطردة الشيطان»**[٣].

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام - في الدعاء -: **«وجعلت لنا عدوّاً يُكيدنا... فاقهر سلطانه عنّا بسلطانك، حتى تحبسه عنّا بكثرة الدعاء لك، فنُصبح من كيده في المعصومين بك»**[٤].

٧- الذكر أمانٌ من النفاق والخداع، قال تعالى: **﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾**[٥].

وعن الإمام عليّ عليه السلام: **«من أكثر ذكر الله فقد برئ من النفاق»**[٦].

٨- الذاكر لله تعالى لا يموت عطشانَ، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **«كلُّ أحد يموت عطشانَ إلا ذاكر الله»**[٧].

إذاً هي كلمات صغيرة تُردّدها أيّها الإنسان العزيز، وتعيش معها بقلبك ووجدانك، فتنتقل من عالمٍ البعد والوحشة إلى عالم القرب والمؤانسة، هو الذي وعد وهو أصدق من يوفي، هو الذي قال اذكروني، وهو الذي وعد بأن يذكرنا، وعندما يطلب الله سبحانه من عباده أن يذكروه، فهو يُحبّ أن يسمع صوتنا، ويرى ضمائرنا مقبلة إليه، فهو يُحبّ

(١) ميزان الحكمة، ج٢، ص٩٧٠.

(٢) م.ن.

(٣) غرر الحكم، ح ٣٦١٤.

(٤) الصحيفة السجادية، الدعاء ٢٥.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٤٢.

(٦) ميزان الحكمة، ج٢، ص٩٧١.

(٧) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج٧٨، ص٢٤٠.

هـذه المجالس، وهو يُحـبّ أصحابها، هـي مجالس الذكر لا الغفلـة، ومجالس العلم لا الجهـل، ومجالـس القرب لا البعد، هي مجالـس الحديث مع الله، فعـن النبيّ ﷺ أنّه قـال: «**يـا ربّ وددت أنّي أعلم من تُحبّ من عبـادك فأُحبّه، فقال: إذا رأيت عبدي يُكثر ذكري، فأنا أذنت له في ذلك، وأنا أُحبّه، وإذا رأيت عبدي لا يذكرني، فأنا حجبته، وأنا أُبغضه**»[1].

ما يؤدّي إلى الغفلة عن ذكر الله تعالى:

١- أن يعيشـ الإنسـان طول الأمل ويتوهّـم أنّه سيبقى إلى الأبـد، الأمر الّذي يجعله غارقـاً في بحـر الغفلة عن ذكـر الله تعالى، قـال الإمام علـيّ عليه السلام: «**إعلموا أنّ الأمـل يُسهـي العقـل، ويُنسي الذكر. فأكذبـوا الأمل، فإنّه غـرور، وصاحبه مغرور**»[2].

٢- إرتـكاب المحرّمات والذنوب والآثام يوقع الإنسان تحت سيطرة الشيطان ويُبعده عـن رضا الله تعالـى، قال المولى عزَّ وجـلَّ: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّـيْطَانُ أَن يُوقِـعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَـاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِـرِ وَيَصُـدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّـلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ**﴾[3].

٣- الانشغـال بملـذّات الدنيا وشهواتها، وهذا ما حذّر منـه المولى تبارك وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[4]. يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**ليس في المعاصي أشدّ من اتّباع الشهوة، فلا تُطيعوها فتُشغلكم عن الله**» (٤).

وفي دعـاءٍ للإمام زين العابدين عليه السلام: «**وأستغفرك من كلّ لذّة بغير ذكرك، ومن**

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ٥، ص ٢٩٣.

(٢) نهج البلاغة، ج١، ص١٥١.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٩١.

(٤) سورة المنافقون، الآية: ٩.

كلِّ راحة بغير أنسك، ومن كلِّ سرور بغير قربك، ومن كلِّ شغل بغير طاعتك»[١].

تبعات الغفلة:

إنّ الغفلة عن ذكر الله تعالى هي خسارة عظمى للإنسان في الدنيا والآخرة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما من ساعة تمرُّ بابن آدم لم يذكر الله فيها إلّا حسر عليها يوم القيامة**»[٢].

وفي الخبر: «**إنّ أهل الجنّة لا يتحسّرون على شيء فاتهم من الدنيا، كتحسُّرهم على ساعة مرّت من غير ذكر الله**»[٣].

كما إنّه من تبعات الغفلة وأثارها السلبيّة على الإنسان الابتلاء بقسوة القلب، قال: «**أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى** عليه السلام:

«**لا تفرح بكثرة المال، ولا تدع ذكري على كلِّ حال، فإنّ كثرة المال تُنسي الذنوب، وترك ذكري يُقسّي القلوب**»[٤].

والويل ثمّ الويل لمن اشتغل بذكر الناس وفضائلهم عليه ونسي ذكر الله وفضله، قال الإمام عليّ عليه السلام: «**من اشتغل بذكر الناس قطعه الله سبحانه عن ذكره**»[٥].

أمّا النتيجة المترتّبة على الإعراض عن ذكر الله تعالى، فهي كما جاء في الكتاب العزيز: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى**﴾[٦].

---

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج٩١، ص١٥١.

(٢) كنز العمال، ح ١٨١٩.

(٣) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ٥، ص ٢٨٨.

(٤) م. ن، ج ٥، ص ٢٨٧.

(٥) غرر الحكم، ح ٣٦٦٥.

(٦) سورة طه، الآيات: ١٢٤ - ١٢٦.

اللهم نجِّنا برحمتك من الغفلة عن ذكرك...

«اللهم صلِّ على محمد وآله، ونبّهني لذكرك في أوقات الغفلة، واستعملني بطاعتك في أيام المهلة، وانهج لي إلى محبتك سبيلاً سهلة أكمل لي بها خير الدنيا والآخرة»[١].



المفاهيم الأساس

١. إنّ أهميّة ذكر اللّه تعالى وحقيقته تكمن في ذكره قبل كلّ شيء وفي كلّ حال من الأحوال.

٢. إنّ من صفات المؤمن المداومة على ذكر اللّه سبحانه والتفكّر في عظمة خلقه.

٣. إنّ أخصّ عباد اللّه تعالى والمقرّبين منه هم الذاكرون، وإنّ أبعد الناس عن اللّه تعالى هم الغافلون عن ذكره.

(١) الصحيفة السجادية، الدعاء ٢٠.



للمطالعة:

بيوت الذكر:

قال ربّ العزّة والكبرياء في محكم كتابه المبارك: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾[1].

روي أنّه لمّا قرأ رسول اللّه ﷺ هذه الآية: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ﴾

قام إليه رجل فقال: أيّ بيوت هذه يا رسول اللّه؟

قال ﷺ: «**بيوت الأنبياء**»

فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول اللّه، هذا البيت منها بيت عليّ وفاطمة؟

قال ﷺ: نعم من أفاضلها[2].

نعم، اللّه تبارك وتعالى يرفع ويُعظِّم تلك البيوت الّتي يُسمع فيها ذكر اللّه تعالى ويُسبّح بحمده فيها في الليل والنهار..

ولكنّه تعالى لا يُعظّم تلك البيوت التي لا يُذكر فيها اسمه، والّتي يعلو فيها صوت الغناء والفحشاء والمنكر..!

فهنيئاً للبيوت الّتي يُذكر فيها اللّه جلّ جلاله فيعظّمها.. وبئساً للبيوت الّتي ابتعدت عن ذكر اللّه سبحانه فابتعد عنها لطفه ورحمته..

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٦.

(٢) الدر المنثور، ج٥، ص٥٠.

تراحم المؤمنين

من دعاء أبي حمزة الثماليّ:

«اللّٰهُمَّ اغفِر لِلمُؤمِنينَ وَالمُؤمِناتِ، الأَحياءِ مِنهُم وَالأَمواتِ، وَتابِع بَيْنَنا وَبَينَهُم بِالخَيراتِ. اللّٰهُمَّ اغفِر لِحَيِّنا وَمَيِّتِنا، وَشاهِدِنا وَغائِبِنا، ذَكَرِنا وَأُنثانا، صَغيرِنا وَكَبيرِنا، حُرِّنا وَمَملوكِنا...».

تمهيد:

ورد في محكم الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ**﴾[1]. حيث تؤكّد هذه الآية الكريمة على مسألة التراحم بين المؤمنين والمؤمنات في حياتهم اليومية، وذلك بغية المحافظة على أواصر الأخوّة الإيمانية وتعزيز روح المحبّة والتعاطف فيما بينهم، والتأكيد على استمرارية الترابط والتواصل بين المؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، الكبير والصغير، الحاضر والغائب، كُلّاً على حدٍّ سواء.

وإلى جانب ذلك تؤكّد الشريعة الإسلامية على تجنّب إساءة أو إهانة أو إيذاء المؤمنين بعضهم لبعض، وذلك بغية التخلّص من حالات الحسد والكراهية والحقد والتباغض وغيرها من السلوكيّات الخاطئة الّتي تقع بين أفراد المجتمع الإسلاميّ. فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يخونه، ويحقّ على المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاون على التعاطف والمؤاساة لأهل الحاجة وتعاطف بعضهم على بعض؛ حتّى تكونوا كما أمركم الله عزَّ وجلَّ: (رحماء بينكم)[2]..**»[3].

عظمة حقّ المؤمن على أخيه:

يُعتبر أداء حقوق المؤمنين من أفضل العبادات الّتي تُقرِّب العبد إلى الله سبحانه

---

(١) سورة الفتح، الآية:٢٩.

(٢) إشارة إلى سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص ١٧٥.

تعالى، حيث ورد عن الإمام الصادق عليه السلام : «**ما عُبد الله بشيء أفضل من أداء حقّ المؤمن**»[١] . ولذا يكشف الإمام الصادق عليه السلام عن حقيقة وعظمة الأخوّة بين المؤمنين، حينما يقول: «**المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد، إن اشتكى شيئاً منه وجد ألم ذلك في سائر جسده، وأرواحهما من روح واحدة، وإنّ روح المؤمن لأشدّ اتصالاً بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها**»[٢] .

ولكنّ ذلك الجسد الواحد الّذي يجمع المؤمنين ويصل بين أرواحهم بروح الله سبحانه وتعالى، لا معنى لكثرة العدد فيه ما دام لا يغفر المؤمنون بعضهم لبعض، ولا يُفشى التواسي والمودّة فيما بينهم.

فقد روي عن أبي إسماعيل «**قال: قلت لأبي جعفر الكاظم عليه السلام : جعلت فداك إنّ الشيعة عندنا كثير.**

فقال عليه السلام : فهل يعطف الغنيّ على الفقير؟ وهل يتجاوز المحسن عن المسيء، ويتواسون؟

فقلت: لا.

فقال عليه السلام : ليس هؤلاء شيعة، الشيعة من يفعل هذا»[٣].

ولا بدّ أن نُدرك أنّ أهميّة الأخوّة بين المؤمنين، والّتي أرادها أهل البيت عليهم السلام لنا، تتجلّى مصاديقها بصدق وإخلاص أكثر وقت الضيق والشدّة وحين وقوع البلاء والمصيبة على بعض المؤمنين، حينها نسأل أنفسنا: هل نحن كالجسد الواحد؟ وهل بالفعل المؤمنون أخوة؟ وذلك بخلاف وقت الرخاء والسعة وبحبوحة العيش.

---

(١) م. س، ج٢ ، ص ١٧٠، ح ٤.

(٢) م.ن ، ج٢، ص ١٦٦ ، ح ٤.

(٣) م.ن ، ج٢ ، ص ١٧٣، ح ١١.

قال الشاعر:

أخــلاء الــرخـــاء هُـــمُ كــثـيـــرٌ   ولــكــن فــي الــبــلاء هُـــمُ قليلُ

مظاهر الأخوّة بين المؤمنين:

لقد جسّـدت السيرة العطرة للرسول الأعظمﷺ وأهل بيته عليهم السلام النموذج المثاليّ فـي إبـراز مظاهر الأخـوّة الإيمانية بين المؤمنيـن، ولعلّ أبرز تلك النمـاذج قد تجلّت عندمـا هاجـر رسول الله ﷺ إلى المدينـة المنوّرة، فكان من بيـن سلسلة الإجراءات الإستراتيجيّة الّتـي قام بهاﷺ آنذاك، من أجل وضع اللبنة الأولى للمجتمع الإسلاميّ وبنـاء الدولة الرساليّـة المحمّديّة، هـو المؤاخاة بين المسلمين وتوثيـق عرى التعاون بينهم.

فقـد روي أنّ الرسـول الأعظمﷺ: «**آخى بين الناس، وتـرك عليّاً للأخير، حتّى لا يرى له أخاً.**

فقال: يا رسول الله، آخيت بين أصحابك وتركتني؟

فقال: إنّما تركتك لنفسي، أنت أخي، وأنا أخوك، فإن ذكرك أحد، فقل: أنا عبد الله وأخو رسوله، لا يدّعيها بعدك إلّا كذّاب. والّذي بعثني بالحقّ، ما أخّرتك إلّا لنفسي، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنّه لا نبيّ بعدي، وأنت أخي ووارثي»(١).

هذا بالإضافة إلى العدد الكبير من الروايات والأحاديث الواردة عنهم عليهم السلام، والّتي أكّدوا فيهـا على أن تسود مضامين الأخوّة الإيمانية ومظاهرها المفترضة في المجتمع الإسلاميّ وفي كلّ زمان ومكان، ونذكر على سبيل المثال:

أ- الشمولية في الدعاء للمؤمنين والمؤمنات:

لقد أولـت الشريعة الإسلامية أهميّـة خاصّة لبعض فئات المجتمـع الإسلاميّ بغية

---

(١) تاريخ ابن عساكر، ج ٦، ص ٢١.

تعزيـز روح التكافل الاجتماعـيّ وبثّ روح المحبّة والاحترام. لـذا نلاحظ في دعاء أبي حمزة الثماليّ، أنّ الإمام السجاد عليه السلام لم يقتصر في طلب الدعاء والمغفرة للمجتمع المؤمـن بشكل شموليّ، بل قد عدّد بعض فئات المجتمع وخصّصهم بالدعاء والمغفرة، فشمـل أموات المؤمنين والمؤمنـات، حينما قال «**اللَّهُمَّ اغْفِـرْ لِلْمُؤْمِنِيـنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الأَحْيَـاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، وَتَابِعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ بِالْخَيْرَاتِ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا..**». وروي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنّه قال: «**ما من مؤمن يدعو للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إلا كتب الله له بكلّ مؤمن ومؤمنة حسنة منذ بعث الله آدم إلى أن تقوم الساعة**»[1].

أمّـا عن كيفيّة الدعاء لهم وزيارتهم فهـو كما ذكر الإمام الصادق عليه السلام: «**.. اللّهم جافِ الأرض عن جنوبهم، وصاعد إليك أرواحهم، ولقّهم منك رضواناً، وأسكن إليهم مـن رحمتـك ما تصل به وحدتهم، وتونس به وحشتهـم، إنّك على كلّ شيء قدير**»[2]. هــذا وقـد قرن الإمام علـي عليه السلام بين زيارة الأمـوات وطلب قضاء الحوائــج، في قوله عليه السلام: «**زوروا موتاكـم فإنّهـم يفرحـون بزيارتكم، وليطلب الرجـل حاجته عند قبر أبيه وأمّه بعدما يدعو لهما**»[3]

ويتابـع الإمـام السجّـاد عليه السلام في دعائه، قائـلاً: «**اللَّهُـمَّ اغْفِـرْ لِحَيِّنَـا وَمَيِّتِنَا، وَشَاهِدِنَـا وَغَائِبِنَـا...**». إنّ الإمـام عليه السلام يدعـو بالمغفرة ليسـ للمؤمنين الحاضرين والشاهدين فقط، بل الدعوة بالمغفرة تشمل حتّى الغائب، سواء كان الغائب مسافراً أم سجينـاً أم غيـر ذلك. وهذا المظهر من مظاهر المغفرة بيـن المؤمنين قد أكّدت عليه روايـات أهـل البيت عليهم السلام، فقد رويَ عن أبي جعفر الكاظـم عليه السلام قال: «**أوشك دعوة وأسرع إجابة دعاء المرء لأخيه بظهر الغيب**»[4].

(١) ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق، ص١٦١.

(٢) وسائل الشيعة، ج٣، ص٢٢٨.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج، ١٠، ص ٩٧.

(٤) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص٥٠٧.

وعنه عليه السلام في قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ**﴾[1] قال: «**هو المؤمن يدعو لأخيه بظهر الغيب فيقول له الملك: آمين ويقول الله العزيز الجبّار: ولك مثل ما سألت وقد أُعطيت ما سألت بحبّك إيّاه**»[2] .

فئات المجتمع

بالإضافة إلى ذلك فقد خصّص الإمام السجّاد عليه السلام الدعاء بالمغفرة أيضاً إلى الكبير والصغير «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لـ.. صَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا**»، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من وقّر ذا شيبة في الإسلام آمنه الله عزّ وجلّ من فزع يوم القيامة**»[3] . وعن أبي عبد الله عليه السلام: «**ليس منّا من لم يوقّر كبيرنا ويرحم صغيرنا**»[4] .

بل قد ذكر عليه السلام حتّى المملوك في ذلك الزمان «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لـ.. حُرِّنَا وَمَمْلُوكِنَا**»، ولم يغفله الإمام عليه السلام وجعله متساوياً في حقّ الدعاء والمغفرة له كما هو حال بقيّة فئات المجتمع الإسلاميّ. وهذا يكشف لنا عن عظمة الإسلام المحمّدي الأصيل الّذي لا يُفرّق بين الناس إلّا بالتقوى كما جاء في قوله تعالى: ﴿**... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[5] .

ويُمكن أن نُضيف إلى مظاهر الأخوّة بين المؤمنين، الإحسان إلى الجيران والدعاء لهم، فقد رويّ عن الإمام الحسن عليه السلام قال: «**رأيت أمّي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتّى اتّضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتُسمّيهم، وتُكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أمّاه، لم لا تدعون لنفسك كما تدعون لغيرك؟ فقالت: يا بنيّ، الجار ثمّ الدار**»[6] .

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٥.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص٥٠٧.

(٣) م. ن، ج٢، ص ٦٥٨.

(٤) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص١٦٥.

(٥) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٦) وسائل الشيعة، الشيخ الحر العاملي، ج٧ ، ص ١١٣.

تسبيح الدودة العمياء:

روي أنّ سليمان بن داود عليه السلام جلس يوماً على ساحل البحر فرأى نملة في فمها حبّة حنطة تذهب إلى البحر، فلمّا بلغت إليه خرجت من الماء سلحفاة وفتحت فاها، فدخلت فيه النملة ودخلت السلحفاة الماء وغاصت فيه.

فتعجّب سليمان من ذلك وغرق في بحر التفكّر، حتّى خرجت السلحفاة من البحر بعد مدّة وفتحت فاها وخرجت النملة من فيها، ولم يكن الحنطة معها، فطلبها سليمان وسألها عن ذلك.

قالت: يا نبيّ اللّه، إنّ في قعر هذا البحر حجراً مجوّفاً وفيه دودة عمياء، خلقها اللّه تعالى فيه وأمرني بإيصال رزقها، وأمر السلحفاة بأن تأخذني وتحملني في فيها، إلى أن تبلغني إلى ثقب الحجر، فإذا بلغته تفتح فاها فأخرج منه وأدخل الحجر حتّى أوصل إليها رزقها، ثمّ أرجع فأدخل في فيها فتوصلني إلى البرّ.

فقال سليمان: سمعت عنها تسبيحاً قطّ؟

قالت: نعم،

تقول: يا من لا ينساني في جوف هذه الصخرة تحت هذه اللجّة برزقك، لا تنسَ عبادك المؤمنين برحمتك يا أرحم الراحمين[١].

ب - التراحم والتعاطف بين المؤمنين:

إنّ التراحم والتعاطف والمحبّة بين جميع الناس هي من المظاهر المهمّة في تعزيز تماسك المجتمع الإسلاميّ، والّتي حثّ الإسلام عليها وأكّد على عدم قطعها أو التكاسل والتهاون في الالتزام بها، لا سيّما في جانب حقّ القرابة أو ما يُعرف بـ(صلة الرحم)، حيث يُعتبر في الشريعة الإسلامية قطع صلة الرحم من الذنوب الكبيرة، قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّ القوم ليكونون فجرة ولا يكونون بررة، فيصلون أرحامهم فتُنمى أموالهم**

(١) راجع لآلئ الاخبار.

وتطـول أعمارهم، فكيـف إذا كانوا أبراراً بررة)[١] **. فالحدّ الأدنى من صلة الرحم في ظلّ حياتنا اليوميـة المليئة بالعمل وتزاحم المشاغل، هو (التحيّة والسلام)، فقد قـال الإمـام عليّ** عليه السلام : «**صلوا أرحامكـم ولو بالتسليم، يقـول الله تبارك وتعالى: ﴿وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾**»[٢] .

وكمـا أنّ قطيعـة الرحـم لها آثار سلبيّـة دنيويّـة وأخرويّة كذلك لصلـة الرحم آثار إيجابيّـة، يقول الإمـام الكاظم عليه السلام : «**صلة الأرحـام تُزكّي الأعمـال، وتدفع البلوى، وتُنمـي الأمـوال، وتُنسـئ له في عمره، وتوسّع في رزقه، وتُحبّـب في أهل بيته، فليتقّ الله وليصل رحمه**»[٣] .

د - السعي في قضاء حوائج المؤمنين:

ومن مظاهر الرحمة الإلهية الّتي منّ بها الله سبحانه على الإنسان المؤمن، التوفيق نحو السعي في قضاء حوائج الناس وتفريج الكرب عنهم، فعن أبي الحسن عليه السلام يقول: «**من أتاه أخوه المؤمن في حاجة فإنّما هي رحمة من الله تبارك وتعالى ساقها إليه، فـإن قبل ذلك فقـد وصله بولايتنا وهو موصول بولاية الله، وإن ردّه عن حاجته وهو يقـدر علـى قضائهـا سلّط الله عليه شجاعاً من نار ينهشه فـي قبره إلى يوم القيامة، مغفوراً له أو معذّباً، فإن عذره الطالب كان أسوأ حالاً**»[٤] .

بل إنّ السّاعين في قضاء حوائج المؤمنين هم من الآمنين والمسرورين يوم القيامة، قـال الإمـام الصـادق عليه السلام : «**إنّ لله عباداً فـي الأرض يسعـون في حوائـج الناس، هم الآمنون يوم القيامة، ومن أدخل على مؤمن سروراً فرّح**[٥] **الله قلبه يوم القيامة** »[٦] .

وفـي روايـة أخرى عنه عليه السلام قال: «**من نفّس عن مؤمن كربـة نفّس الله عنه كُرَب**

(١) الكافي ، الشيخ الكليني، ج٢، ص ١٥٥.

(٢) م.ن، ج٢ ص ١٥٥.

(٣) م.ن ، ج٢، ص ١٥٣.

(٤) م.ن ، ج٢، ص١٩٧.

(٥) في بعض النسخ (فرّج).

(٦) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص ١٩٧.

الآخرة وخرج من قبره وهو ثَلِج الفؤاد[١]، ومن أطعمه من جوع أطعمه الله من ثمار الجنّة، ومن سقاه شربة سقاه الله من الرحيق المختوم»[٢] [٣].

ي - الاهتمام بأمور المؤمنين والنصيحة لهم:

لقد شدّد الإسلام كثيراً على مسألة الاهتمام بأمور المسلمين، وتتبُّع شؤونهم الاجتماعية والسياسية وغيرها، والعمل على تقديم النصيحة والمشورة لهم قدر المستطاع، لذا قال رسول الله ﷺ: «**من أصبح لا يهتمّ بأمور المسلمين فليس بمسلم**»[٤]. وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**عليك بالنُّصح لله في خلقه، فلن تلقاه بعمل أفضل منه**»[٥].

النهي عن أذيّة المؤمنين وخذلانهم:

إنّ حثّ الإسلام على التعاطف والتراحم والتعاون بين المؤمنين قد اقترن مع النهي عن توجيه الإساءة أو الإهانة للمؤمنين وخذلان بعضهم لبعض، فقد رويَ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**قال الله عزَّ وجلَّ: ليأذن بحرب منّي من آذى عبدي المؤمن، وليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن... الحديث**»[٦]. وعنه عليه السلام قال: «**إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ أين الصدود لأوليائي؟ فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم فيُقال: هؤلاء الّذين آذوا المؤمنين ونصبوا لهم وعاندوهم وعنّفوهم في دينهم، ثمّ يُؤمر بهم إلى جهنّم**»[٧]. وعنه عليه السلام - أيضاً - قال: «**ما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلا خذله الله في الدنيا والآخرة**»[٨].

---

(١) أي فرح القلب مطمئناً واثقاً برحمة الله.

(٢) «**الرحيق المختوم**» الرحيق من أسماء الخمر يريد خمر الجنة والمختوم: المصون.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص١٩٩.

(٤) م. ن، ج٢، ص ١٦٣.

(٥) م. ن.

(٦) وسائل الشيعة، الشيخ الحر العاملي، ج ١٢، ص٢٦٤.

(٧) م. ن، ج ١٢، ص٢٦٥.

(٨) وسائل الشيعة، الشيخ الحر العاملي، ج١٦، ص ٢٦٨.



المفاهيم الأساس

١. لقـد أكّـد الإسلام على ضـرورة تعزيز روح التراحـم والتواصل بين جميـع فئـات المجتمع الإسلامـيّ: الفقير والغنيّ، الـزوج والزوجة، الحاكم والمحكوم..

٢. وقـد شـدّد الإسـلام - أيضـاً - على مضاعفـة الاحتـرام المتبادل والتراحم المتواصل تجـاه الكبير والصغير، وعدم قطع صلة الرحم وسواء كان هؤلاء الأرحام والأقارب من الأحياء أم الأموات.

إنّ من أبرز مظاهر الأخوّة الإيمانية:

- الدعاء للمؤمنين والمؤمنات.
- التراحم والتعاطف بين المؤمنين.
- السعي في قضاء حوائج المؤمنين وتفريج الكرب عنهم.
- الاهتمام بأمور المؤمنين والنصيحة لهم.
- النهي عن أذيّة المؤمنين وخذلانهم.



للمطالعة:

حقوق المؤمنين

إنّ أداء حقوق المؤمنين هو أداء للواجب الشرعيّ المكلّف به الإنسان، لذا يُعتبر تضييعها بمثابة الخروج عن ولاية الله وطاعته، فقد سأل معلّى بن خُنيس الإمام الصادق عليه السلام، قائلاً: «ما حقّ المسلم على المسلم؟ قال له عليه السلام: سبعة حقوق واجبات ما منهنّ حقّ إلا وهو عليه واجب، إنْ ضيّع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته ولم يكن لله فيه من نصيب، قلت له: جُعلت فداك وما هي؟ قال عليه السلام: يا معلّى إنّي عليك شفيق أخاف أن تُضيّع ولا تحفظ وتعلم ولا تعمل، قال: قلت له: لا قوّة إلا بالله، قال عليه السلام:

- أيسر حقّ منها أن تُحبّ له ما تُحبّ لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك،
- والحقّ الثاني أن تجتنب سخطه وتتبّع مرضاته وتُطيع أمره،
- والحقّ الثالث أن تُعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك،
- والحقّ الرابع أن تكون عينه ودليله ومرآته،
- والحقّ الخامس أن لا تشبع ويجوع، ولا تروى ويظمأ، ولا تلبس ويعرى،
- والحقّ السادس أن يكون لك خادم وليس لأخيك خادم فواجب أن تبعث خادمك فيغسل ثيابه ويصنع طعامه ويُمهّد فراشه ،
- والحقّ السابع أن تبرّ قسمه[1]، وتُجيب دعوته، وتعود مريضه، وتشهد جنازته، وإذا علمت أنّ له حاجة تُبادره إلى قضائها ولا تُلجئه أن يسألكها ولكن تُبادره مبادرة،

---

(١) الظاهر أنّ قسَمَه بفتحتين وهو اسم من الأقسام وأن المراد ببر قسمه قبوله: وأصل البرّ الإحسان ثمّ استُعمل في القبول، يُقال برّ الله عمَلَه إذا قَبِله كأنّه أحسن إلى عمله بأن قَبِله ولم يردّه، وقبول قسمه وإن لم يكن واجباً شرعاً لكنّه مؤكّد لئلا يكسر قلبه ولا يُضيّع حقّه.

فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك»[١]. وفي رواية أخرى: «... فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايتنا وولايتنا بولاية الله عزَّ وجلَّ».[٢]

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص١٦٩.

(٢) م.ن، ج٢، ص ١٧٤.

٥

النِعَمُ الإلهية

من دعاء أبي حمزة الثماليّ:

«اللهم وأعطني السعة في الرزق، والأمن في الوطن، وقرّة العين في الأهل والمال والولد والمقام في نِعَمك عندي، والصحّة في الجسم، والقوّة في البدن، والسلامة في الدين، واستعملني بطاعتك وطاعة رسولك محمد صلواتك عليه وآله أبداً ما استعمرتني».

تمهيد:

قال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾[1].

إنّ من أعظم النعم الإلهيّة على الإنسان نعمة الإسلام وولاية الله عزَّ وجلَّ؛ حيث صفاء القلوب وطهارة الأعمال، ولا سيّما إذا عرفنا أنّ من هذه النعمة العظمى تشعّ كلّ النعم الإلهيّة على العالمين. ولذا أخذ الله سبحانه ميثاقاً على الإنسان لكي يتذكّر هذه النعمة العظمى ويشكره عليها، ﴿وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾[2]، وشكر الله سبحانه على هذه النعم يزيد في نماء النعم الإلهية وتكاثرها على الإنسان ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾[3]، ولكن من المحزن أن يكون الشاكرون لله سبحانه هم قلّة بين الناس ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[4].

نِعمُ الله لا تُحصى:

لقد منّ الله عزَّ وجلَّ بِنِعم يعجز الإنسان عن أن يُحصيها أو يعدّها، قال تعالى: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[5]،

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٦ – ٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٤) سورة سبأ، الآية: ١٣.

(٥) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «**الحمد لله الّذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يُحصي نعماءه العادون**»[٢].

و عنه عليه السلام - أيضاً -: «**أصبحنا وبنا من نعم الله وفضله ما لا نُحصيه، مع كثير ما نُحصيه، فما ندري أيّ نعمة نشكر أجميل ما ينشر أم قبيح ما يستر؟!**»[٣].

أنواع النِّعَم الإلهيّة:

تُقسم النِّعَم الإلهيّة على الإنسان بين نِعَم ظاهريّة ونِعَم باطنيّة، قال عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾[٤].

وورد عن ابن عبّاس في تفسير هذه الآية الكريمة، «**قال: سألت النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله تعالى: (ظاهرة وباطنة). فقال: يا بن عبّاس! أمّا ما ظهر فالإسلام، وما سوّى الله من خلقك، وما أفاض عليك من الرزق. وأمّا ما بطن فستر مساوئ عملك ولم يفضحك به. يا بن عبّاس إنّ الله تعالى يقول: ثلاثة جعلتهنّ للمؤمن ولم تكن له: صلاة المؤمنين عليه من بعد انقطاع عمله، وجعلت له ثلث ماله أُكفِّر به عنه خطاياه، والثالث: سترت مساوئ عمله ولم أفضحه بشيء منه ولو أبديتُها عليه لنبذه أهله فمن سواهم...**»[٥].

من مظاهر النِّعَم الإلهيّة:

إنّ نِعَم الله عزَّ وجلَّ على الإنسان كثيرة لا تحصى ـ كما أشرنا مسبقاً ـ نذكر هنا

(١) سورة النحل، الآية: ١٨.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١.
(٣) تحف العقول، ابن شعبة الحراني، ص٢١٠.
(٤) سورة لقمان، الآية: ٢٠.
(٥) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج٨، ص٨٨.

بعض مظاهرها وتجلّياتها في حياة الإنسان المؤمن، والّتي من أبرزها وأعظمها:

١. نعمة خلق الإنسان وأصل إيجاده في عالم الوجود، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ عليه السلام: «**قل ما أوّل نعمة أبلاك الله عزَّ وجلَّ وأنعم عليك بها؟ قال: أنْ خلقني جلّ ثناؤه ولم أك شيئاً مذكوراً، قال: صدقت**»[1].

٢. نعمة الولاية وهي من النِّعم العظيمة الّتي منّ بها الله تبارك وتعالى على شيعة أهل البيت عليهم السلام، وجعلها من تمام الدين: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**﴾[2].

وقد جاء في حديث الغدير أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**أيّها الناس ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟** ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ**﴾[3]. **قالوا: بلى، قال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه، واخذل من خذله، وانصر من نصره**»[4].

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**حدّثنا الحسن بن عليّ عليه السلام أنّ الله عزَّ وجلَّ بمنّه ورحمته لمّا فرض عليكم الفرائض لم يفرض ذلك عليكم لحاجة منه إليه، بل رحمة منه، لا إله إلّا هو، ليميز الخبيث من الطيّب، وليبتلي ما في صدوركم، وليُمحِّص ما في قلوبكم، ولتتسابقوا إلى رحمته، ولتتفاضل منازلكم في جنّته، ففرض عليكم الحجّ، والعمرة، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصوم، والولاية، وجعل لكم باباً لتفتحوا به أبواب الفرائض، ومفتاحاً إلى سبيله، ولولا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم والأوصياء من ولده عليهم السلام كنتم حيارى كالبهائم، لا تعرفون فرضاً من الفرائض، وهل تُدخل قرية إلا من بابها، فلمّا منّ عليكم بإقامة الأولياء بعد نبيّكم صلى الله عليه وآله وسلم**

(١) تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي، ج٤، ص ٢١٤.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٦.
(٤) غاية المرام، السيد هاشم البحراني، ج١، ص ١٥٧.

قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ ففرض عليكم لأوليائه حقوقاً وأمركم بأدائها إليهم، ليحلّ لكم ما وراء ظهوركم من أزواجكم، وأموالكم، ومآكلكم، ومشاربكم، ويُعرّفكم بذلك البركة، والنماء، والثروة، ليعلم من يطيعه منكم بالغيب، ثمّ قال عزَّ وجلَّ: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[1]»[2].

ولذا، فإنّ وجوب الإطاعة يدور مدار الولاية في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾.[3] كما إنّ الطاعة توجب النِّعم الإلهيّة والحشر يوم القيامة مع النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[4]. ونحن نُردّد يومياً في صلواتنا: ﴿اهدِنَــا الصِّــرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾[5].

٣ - ومن نِعَم اللّه تعالى على الإنسان الرزق والسعة في المال «**اللّهمّ اعطني السعة في الرزق**». وهنا لا بدّ أن يقطع الإنسان بأنّ مصدر الرزق هو اللّه تعالى ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا﴾[6]، بالتالي لا بدّ أن يسعى الإنسان نحو الرزق الحلال الطيّب وأن يكون السؤال والطلب من اللّه سبحانه، ونحن نقرأ في تعقيب صلاة العشاء: «**اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَيْسَ لِي عِلْمٌ بِمَوْضِعِ رِزْقِي، وَإِنَّمَا أَطْلُبُهُ بِخَطَرَاتٍ تَخْطُرُ عَلَى قَلْبِي، فَأَجُولُ فِي طَلَبِهِ الْبُلْدَانَ، فَأَنَا فِيمَا أَنَا طَالِبٌ كَالْحَيْرَانِ، لَا أَدْرِي أَفِي سَهْلٍ هُوَ أَمْ فِي جَبَلٍ، أَمْ فِي أَرْضٍ أَمْ**

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

(٢) الأمالي للشيخ الطوسي، ص ٦٥٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٧.

(٤) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٥) سورة الحمد، الآيتان: ٦ – ٧.

(٦) سورة هود، الآية: ٦.

فِـي سَمَـاءٍ، أَمْ فِـي بَـرٍّ أَمْ فِـي بَحْـرٍ، وَعَلَى يَدَيْ مَـنْ وَمِنْ قِبَـلِ مَنْ، وَقَـدْ عَلِمْتُ أَنَّ عِلْمَـهُ عِنْـدَكَ وَأَسْبَابَـهُ بِيَـدِكَ، وَأَنْـتَ تَقْسِمُـهُ بِلُطْفِـكَ وَتُسَبِّبُـهُ بِرَحْمَتِـكَ . اللَّهُـمَّ فَصَـلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَـلْ يَا رَبِّ رِزْقَكَ لِي وَاسِعـاً، وَمَطْلَبَهُ سَهْلاً، وَمَأْخَـذَهُ قَرِيبـاً، وَلَا تُعَنِّتْنِـي بِطَلَـبِ مَا لَـمْ تُقَدِّرْ لِي فِيـهِ رِزْقاً، فَإِنَّـكَ غَنِيٌّ عَنْ عَذَابِي، وَأَنَا فَقِيرٌ إِلَى رَحْمَتِكَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَجُدْ عَلَى عَبْدِكَ بِفَضْلِكَ، إِنَّكَ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ»[١] .

ولكـنّ الأفضل من الـرزق والسعة فيه هو «**الصحّـة في الجسد والقـوّة في البدن**»، قـال الإمام الصادق عليه السلام : «**العافية نعمة خفيّة إذا وُجـدت نُسيت، وإذا فُقدت ذُكرت والعافيـة نعمـة يعجز الشكر عنهـا**»[٢] . وأمّا أفضل من كلّ ذلك وأهمّ هو (السلامة في الدين) ، أي تقوى القلوب وإخلاصها إلى الباري عزَّ وجلَّ. وهذا ما أكّد عليه الإمام عليّ عليه السلام حينمـا قال: «**إنّ مـن النِّعم سعة المـال، وأفضل من سعة المـال صحّة البدن، وأفضل من صحّة البدن تقوى القلب**»[٣] .

٤ـ نعمة الأمان في الوطن، وهي من النِّعم الأساس في حياة الفرد والمجتمع.

وإذا كانـت نعمــة الأمان في الدنيا هــي نعمة مطلوبة ومهمّة، فـإنّ أمان يوم القيامة ويوم الفزع الأكبر هو أكثر أهميّة من أمان الدنيا والوطن. وهنا نسأل أنفسنا: هل تهيّأنا واستعددنـا لذلك اليـوم؟ وما هو المطلوب منّا لننال نعمة الأمـان والرحمة الإلهيّة يوم القيامة؟

إن أهـل الأمــان يوم القيامــة هم المحسنون فـي الدنيا، وأهل العمـل الصالح، قال تعالـى: ﴿**مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ**﴾[٤] .

---

(١) مفاتيح الجنان، عبّاس القمي، ص ٧٠.

(٢) روضة الواعظين، النيسابوري، ص٤٧٢.

(٣) نهج البلاغة، ج٤، ص ٩٣.

(٤) سورة النمل، الآية: ٨٩.

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**لمّا كلّم الله عزَّ وجلَّ موسى بن عمران عليه السلام، قال موسى: إلهي، ما جزاء من شهد أنّي رسولك ونبّيك، وأنّك كلّمتني؟ قال: يا موسى، تأتيه ملائكتي فتبشّره بجنّتي.**

قال موسى عليه السلام: إلهي، فما جزاء من قام بين يديك يُصلّي؟

قال: يا موسى، أُباهي به ملائكتي راكعاً وساجداً، وقائماً وقاعداً، ومن باهيت به ملائكتي لم أُعذِّبه.

قال موسى عليه السلام: إلهي، فما جزاء من أطعم مسكيناً ابتغاء وجهك؟

قال: يا موسى، آمر منادياً يُنادي يوم القيامة على رؤوس الخلائق: إنّ فلاناً بن فلان من عتقاء الله من النار.

قال موسى عليه السلام: إلهي، فما جزاء من وصل رحمه؟

قال: يا موسى، أُنسئ[1] له أجله، وأهوّن عليه سكرات الموت، ويُناديه خزنة الجنّة: هلمّ إلينا فادخل من أيّ أبوابها شئت...

إلى أن يقول عليه السلام:

«**إلهي، فما جزاء من صبر على أذى الناس وشَتْمِهم فيك؟**

قال: أُعينه على أهوال يوم القيامة.

قال: إلهي، فما جزاء من دمعت عيناه من خشيتك؟

قال: يا موسى، أقي وجهه من حرّ النار، وأومنه يوم الفزع الأكبر...»[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام - أيضاً - قال: «**قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: .. يا عليّ، أنت**

---

(١) نسأ الشيء: أخّره.

(٢) أمالي الصدوق، ص٢٧٦.

وشيعتك على الحوض تسقون من أحببتم وتمنعون من كرهتم، وأنتم الآمنون يوم الفزع الأكبر في ظلّ العرش، يفزع الناس ولا تفزعون، ويحزن الناس ولا تحزنون، فيكم نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[1] وفيكم نزلت ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[2]»[3].

٥ ـ نعمة الزوجة والأولاد والحياة الأُسريّة السعيدة كما يدعو الإمام زين العابدين عليه السلام: «**اللّهمّ وأعطني... قرّة العين في الأهل والمال الولد**». ومعنى قرّة العين: أنّ الإنسان تكون عينه هادئة مسرورة، وهو كناية عن الحياة السعيدة بين الزوج والزوجة والأولاد. وهذا ما أكّد عليه المولى عزَّ وجلَّ: ﴿.. **رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** ﴾[4].

وهنا لا بدّ أن نسأل: كيف تكون الحياة الزوجيّة والأُسريّة سعيدة بنظر الإسلام العزيز؟

نُلاحظ أنّ روايات أهل البيت عليهم السلام جاءت بالعديد من النصائح والتوجيهات لكلا الزوجين، ودعتهم للأخذ بها عند الإقبال على بناء بيت الزوجية، بُغية التمتّع بنعمة الحياة الأُسريّة المليئة بالحبّ والعاطفة والسعادة. فعلى سبيل المثال ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**إنّ خير نسائكم الولود الودود العفيفة، العزيزة في أهلها، الذليلة مع بعلها، المتبرِّجة مع زوجها، الحصان على غيره؛ الّتي تسمع قوله وتُطيع أمره، وإذا خلا بها بذلت له ما يُريد منها**»[5].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**من سعادة المرء الزوجة الصالحة**»[6].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠١.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٣.

(٣) أمالي الصدوق، ص٦٥٧.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.

(٥) الكافي، الشيخ الكليني، ج٥، ص٣٢٤.

(٦) م.ن، ص٣٢٧.

وفي المقابل قال رسول الله ﷺ: «**إذا جاءكم من ترضون خُلقه ودينه فزوّجوه، إلّا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**»[١].

وممّا سبق نستنتج: أنّ رؤية الإسلام للحياة السعيدة في الأُسرة لا تقوم على المال فقط ولا على الجمال فقط، بل الحياة السعيدة هي الّتي تجمع بين الجانب الماديّ والجانب الأخلاقيّ معاً. فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**إذا تزوّج الرجل المرأة لجمالها أو مالها وُكِلَ إلى ذلك، وإذا تزوّجها لدينها رزقه الله الجمال والمال**»[٢]، ولذا كان دعاء سيّد الساجدين عليه السلام جامعاً: «**اللهم وأعطني... قرّة العين في الأهل والمال الولد**».

وقد قدّم الإمام عليّ والسيّدة فاطمة عليها السلام نموذجاً جميلاً يعكس جماليّة الحياة السعيدة في الإسلام، حيث كانت فاطمة عليها السلام تعجن وتطبخ وتطحن، في حين كان عليّ عليه السلام يحتطب ويكنس البيت. رويَ عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «**كان أمير المؤمنين عليه السلام يحتطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة عليها السلام تطحن وتعجن وتخبز**»[٣].

من الأمور التي تُديم النِّعم وتزيدها:

لقد سخّر الله تعالى جميع مخلوقاته في خدمة الإنسان والرقيّ به نحو الكمال، وهي نِعَم لا تدوم ولا تزيد إلا بوجود أسبابها وأداء الواجب نحوها، كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام في صفة الإسلام: «**فيه مرابيع النِّعم**[٤]**، ومصابيح الظُلَم، لا تُفتح الخيرات إلّا بمفاتيحه، ولا تُكشف الظلمات إلّا بمصابيحه**»[٥]. لذا كان لا بدّ للإنسان من أن يقوم بما يفي لهذه النِّعم الإلهيّة ولو بالقليل، كالقيام على سبيل المثال بـ:

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٥، ص٣٤٧.
(٢) م. ن، ج٥، ص٣٣٣.
(٣) م. ن، ج٥، ص٨٦.
(٤) مرابيع: جمع مِرباع، بكسر الميم: المكان ينبت نبته في أوّل الربيع.
(٥) نهج البلاغة، الخطبة ١٥٢.

١- أداء الشكر لله على هذه النِّعم، لأنّ الشكر يزيد في النِّعم والبركات. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[1]، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ﴾[2]. وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «**من أُعطي الشكر أُعطي الزيادة يقول الله عزّ وجلّ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾**».

٢- الدوام على ذكر نِعَم الله وعدم الغفلة عنها؛ قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**﴾[3]. وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى: ﴿**وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ**﴾ (أي): «**بنعم الله وآلائه**»[4]، وعن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾[5]: «**الّذي أنعم عليك بما فضّلك، وأعطاك وأحسن إليك، ثم قال: فحدّث بدينه وما أعطاه الله وما أنعم به عليه**»[6].

- أيضاً: معناه اذكر نعمة الله وأظهرها وحدِّث بها، وفي الحديث: «**من لم يشكر الناس لم يشكر الله، ومن لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، والتحدُّث بنعمة الله شُكر وتركه كُفر**»، وعن الإمام الحسن عليه السلام: «**تُجهل النِّعم ما أقامت، فإذا ولَّت عُرِفت**»[7]، وعن الإمام عليّ عليه السلام: «**أحسنوا صحبة النِّعم قبل فِراقها، فإنّها تزول وتشهد على صاحبها بما عمل فيها**»[8].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٦.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٣.

(٤) الدر المنثور، للسيوطي، ج٤، ص ٧٠.

(٥) سورة الضحى، الآية: ١١.

(٦) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص ٩٤.

(٧) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٧٥، ص ١١٥.

(٨) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج٢، ص ٤٦٤.

٣- القناعــة بنِعَم اللّه تعالى وعدم الإســراف فيها، قال الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ : «**من اقتصد وقنع بقيت عليه النِّعمة، ومن بذّر وأسرف زالت عنه النِّعمة**»[١].

٤- السعــي في قضاء حوائــج الناس، قال الإمــام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «**من كثُـرت نِعَم الله عليه كثُرت حوائج الناس إليه، فمن قام لله فيها بما يجب فيها عرّضها للدوام والبقاء، ومن لم يقم فيها بما يجب عرّضها للزوال والفناء**»[٢].

٥- الامتنــاع عن ظلم الناس والاستعانة بنعم اللّه علــى معاصيه لا سيّما التكبُّر على عباده، قال الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «**ما أنعم الله على عبد نعمة فظلم فيها، إلّا كان حقيقـاً أن يُزيلهـا عنـه**»[٣]. وورد في زبور داود عَلَيْهِ السَّلَامُ : يقــول اللّه تعالى: «**يا بن آدم! تسألنــي وأمنعـك لعلمــي بما ينفعك، ثـمّ تُلحّ عليّ بالمسألـة فأُعطيك ما سألـت، فتستعيـن به على معصيتي**»[٤]. وعن رسول اللّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**يقول الله تبارك وتعالـى: يا بـن آدم ما تنصفني! أتحبّب إليك بالنِّعـم وتتمقّت إليّ بالمعاصي، خيري عليك منزَل وشرّك إليّ صاعد**»[٥]، ويقول الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «**بالتواضع تتمّ النِّعمة**»[٦].

٦- إظهــار النِّعم الّتي أنعــم اللّه بها على الإنسان، قال الإمــام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «**إنّ الله جميل يُحبُّ الجمال، ويُحبُّ أن يرى أثر النِّعمة على عبده**»[٧].

وعــن الإمام الصــادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : «**إذا أنعم الله علــى عبده بنعمة فظهـرت عليه سُمّيَ حبيـب الله محدِّثـاً بنعمـة الله، وإذا أنعـم الله على عبـد بنعمة فلم تظهـر عليه سُمّيَ**

(١) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٣٣١٣.
(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٣٧٢.
(٣) عيون الحكم والمواعظ، الواسطي، ص ٤٨٢.
(٤) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج٧٠، ص ٣٦٥.
(٥) م. ن، ج٧٠، ص ٣٥٢.
(٦) ميزان الحكمة، الريشهري، ج٤، ص ٣٣١٨.
(٧) الكافي، الشيخ الكليني، ج٦، ص ٤٣٨.

بغيض الله مُكذِّباً بنعمة الله»[١]، وعنه عليه السلام: «إنّ الله تعالى يُحبُّ الجمال والتجميل، ويُبغض البؤس والتباؤس، فإنّ الله عزَّ وجلَّ إذا أنعم على عبد نعمة أحبّ أن يرى عليه أثرها، قيل: وكيف ذلك؟ قال: يُنظِّف ثوبه، ويُطيِّب ريحه، ويُجصِّص داره، ويكنس أفنيته، حتّى أنّ السراج قبل مغيب الشمس ينفي الفقر ويزيد في الرزق»[٢].



المفاهيم الأساس

١. إنّ نِعَم الله تبارك وتعالى على الإنسان كثيرة لا تُعدّ ولا تُحصى، سواء كانت نِعَماً باطنة كستر عيوب الإنسان وعدم فضحه، أم كانت ظاهرة كنعمة الإسلام وولاية النبيّ وأهل بيته عليهم السلام وهي الولاية المتّصلة بالله سبحانه. ومن مظاهر النِّعم: السعة في المال، الأمن في الوطن، الراحة في الحياة الزوجيّة.

٢. هناك العديد من الأمور التي تُديم النِّعم وتزيدها:

- شكر الله تعالى وحمده على هذه النعم.
- الدوام على ذكر نِعَمِ الله وعدم الغفلة عنها.
- القناعة بنعم الله تعالى وعدم الإسراف فيها.
- السعي في قضاء حوائج الناس وعدم ظلمهم والتكبّر عليهم.
- إظهار النِّعم الّتي أنعم الله بها على الإنسان.

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٦، ص٤٣٨.

(٢) أمالي الطوسي، ص ٢٧٥.



للمطالعة:

خادم الإمام الصادق عليه السلام والتاجر الخراسانيّ

كان للإمام الصادق عليه السلام خادم يُمسك له الفرس إذا أراد أن يركب أو يمشي. وفي يوم من الأيام جاء تاجر خراسانيّ، فقال للخادم: أنا تاجر في خراسان عندي بساتين عديدة وكثير من الجواري والأموال، أُعطيك إياها كلّها على أن تجعلني مكانك وتهبني مهنتك وأُصبح خادم الإمام الصادق عليه السلام بدلاً عنك.

فابتهج الخادم فرحاً وقال له: قَبِلت.

ثم دخل على الإمام الصادق عليه السلام وقال له: جُعلت فداك تعرف خدمتي، وطول صُحبتي، فإن ساق الله إليّ خيراً تمنعنيه؟ قال عليه السلام: أنا أُريد لك الخير من نفسي، فإذا جاءك الخير من غيري كيف أمنعك؟! ولكن ما هي القضيّة؟

أخبره الخادم بما حصل بينه وبين التاجر الخراسانيّ، فقال عليه السلام: إذا رغبت عنّا اذهب، وإذا رغب فينا غيرك فليأت.

تهلّل وجه الخادم فرحاً، وعندما همَّ بالخروج دعاه الإمام عليه السلام قائلاً: لك علينا حقّ لطول صحبتك والمدّة الّتي خدمتني، ولا بُدّ أن أؤدي حقّك وهو النصيحة، ولك الخيار.

فقال الخادم: قل يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال عليه السلام: إعلم إذا كان يوم القيامة كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متعلّقاً بنور الله، وكان أمير المؤمنين عليه السلام متعلّقاً بنور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان الأئمّة متعلّقين بأمير المؤمنين، وكان شيعتنا متعلّقين بنا يدخلون مدخلنا، ويردون موردنا.

وإذا شئت الآن أن تذهب فاذهب.

فقال له الخادم: يا ابن رسول الله لا أوثر الدنيا على الآخرة، بل أُقيم في خدمتك وأوثر الآخرة على الدنيا . وخرج الخادم إلى التاجر الخراسانيّ حزيناً خجولاً، فقال له الخراسانيّ: أراك الآن خجولاً حزيناً وقد كنت دخلت فرحاً! قال الخادم: أنا لا أُفضّل الدنيا على الآخرة، ولا أقبل المبادلة دعني في خدمة الإمام الصادق عليه السلام .[1]

(١) الخرائج والجرائح، للراونديّ، ج١، ص٣٩١. (بتصرّف)

القرب من الله

من دعاء أبي حمزة الثماليّ:

«سيّدي لعلّك عن بابك طردتني، وعن خدمتك نحّيتني، أو لعلّك رأيتني مستخفّاً بحقّك فأقصيتني، أو لعلّك رأيتني مُعرِضاً عنك فقليتني أو لعلّك وجدتني في مقام الكاذبين فرفضتني، أو لعلّك رأيتني غير شاكر لنعمائك فحرمتني، أو لعلّك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني، أو لعلّك رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني، أو لعلّك رأيتني آلف مجالس البطّالين فبيني وبينهم خلّيتني، أو لعلّك لم تُحبّ أن تسمع دعائي فباعدتني، أو لعلّك بجرمي وجريرتي كافيتني، أو لعلّك بقلّة حيائي منك جازيتني. فإن عفوت يا ربّ فطال ما عفوت عن المذنبين قبلي، لأنّ كرمك أي ربّ يجلّ عن مكافأة المقصّرين وأنا عائذ بفضلك، هارب منك إليك، متنجّز ما وعدت من الصفح عمّن أحسن بك ظناً».

تمهيد:

رويَ عــن الإمام زين العابدين وسيّــد الساجدين عليه السلام أنّه كان يدعو اللّه عزَّ وجلَّ، قائــلًا: «**ربّ إنّــك.. أمرتنــا أن لا نردَّ سائلاً عـن أبوابنا، وقد أتيناك سـؤّالاً ومساكين وقد أنخنا بفنائك وببابك نطلب نائلك ومعروفك وعطاءك، فامنن بذلك علينا ولا تُخيّبنا**»[١].

نتعلّــم من هــذا الدعــاء أنّ اللّه تعالى قد أمرنــا أن لا نردّ سائلاً عــن أبوابنا وأن لا نطــرده، لمــا في ذلك من ألم وكسر لخاطر السائل، مع أنّه قــد يذهب إلى غيرنا طالباً حاجته فتلبّى وربّما لا تُلبّى فيُردّ خائباً.

إذا كانــت هذه التعاليم الإلهيّة بين الناس، فكيف هــو حال العبد المطرود من أمام باب الرحمة الإلهية، وحرمانه من النعم العظام؟!

«**سيّدي لعلّك عن بابك طردتني، وعن خدمتك نحّيتني...**».

وإذا كان أحدنــا قــد تنقّل من باب إلى باب آخر من بيوت الناس طالباً حاجته، فإلى من اللجوء إذا طُردنا من أمام باب العطايا الإلهيّة؟! ومَن نرجو؟ ومَن نسأل؟

ألم نقرأ المناجاة المنظومة المنسوبة لأمير المؤمنين عليه السلام:

إلـهي لئن خيّبتني أو طـردتـنـي   فمن ذا الّـذي أرجـو ومـن ذا أشـفـع؟![٢]

---

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج٤٦، ص ١٠٤.

(٢) مفاتيح الجنان، الشيخ عبّاس القمي، ص١٧٥.

من أسباب البعد عن الله تعالى:

لا بُـدّ أن نُـدرك جيّداً أن هنالك العديد من الأعمال الّتي يرتكبها الإنسان فتؤدّي به إلى الطرد من رحمة اللّه تعالى، والابتعاد عن اللّه سبحانه، والإقصاء عن ساحة قدسه ولطفه، الأمر الّذي تترتّب عليه عواقب وخيمة في الدنيا والآخرة. منها ما ورد في دعاء أبي حمزة الثماليّ:

١- الاستخفاف بحقّ الله والإعراض عنه:

«**سيّـدي.. لعلّك رأيتني مستخفّاً بحقّك فأقصيتني، أو لعلّك رأيتني معرضاً عنك فقليتني..**».

يؤكّـد الإمـام زيـن العابدين عليه السلام في هـذا المقطع علـى عظمة مراعـاة الحقوق الإلهيّة، والتنبيه على عدم الاستخفاف بها أو الإعراض عن ذكره سبحانه. هذا بالرغم من عجز العبد عن الوفاء بالحقوق الإلهيّة وشكر نعمه، قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّ حقوق الله جلّ ثناؤه أعظم من أن يقوم بها العباد، وإنّ نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد، ولكن أمسوا وأصبحوا تائبين**»[1].

ويقول الإمام عليّ عليه السلام: «**لكنّه سبحانه جعل حقّه على العباد أن يُطيعوه، وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضّلاً منه**»[2].

ولـذا لا بُـدّ للإنسان أن يكون من الذاكرين للّه سبحانـه والمطيعين له، لما في ذلك من القرب من اللّه عزَّ وجلَّ، قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**قال الله تعالى: من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين**»[3].

وروي أنّ اللّه أوحـى إلـى داود عليه السلام: «**يـا داود، إنّه ليس عبد مـن عبادي يُطيعني**

---

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٧٤، ص ٧٧.

(٢) م.ن، ج ٢٧، ص ٢٥٢.

(٣) م.ن، ج ٩٠، ص ٣٢٣.

فيما آمره إلا أعطيته قبل أن يسألني، وأستجيب له قبل أن يدعوني»[١].

وها نحن نقرأ في مناجاة الذاكرين للإمام زين العابدين عليه السلام: «**إلهي بك هامت القلوب الوالهة، وعلى معرفتك جُمعت العقول المتباينة، فلا تطمئنّ القلوب إلا بذكرك..**»[٢].

٢- الكذب على الله:

«**سيّدي.. لعلّك وجدتني في مقام الكاذبين فرفضتني**».

حتماً إنّ من يتّصف بصفة الكذب هو مرفوض ومطرود من ساحة الرحمة الإلهيّة، قال العزيز الجبّار: ﴿**إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ**﴾[٣] و﴿**إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**﴾[٤].

وأوقح الكذّابين من يكذب على الله تعالى: ﴿**وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ**﴾[٥]، و: ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾[٦]، ﴿**وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[٧].

ومن ثمار الكذب كما يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**ثمرة الكذب المهانة في الدنيا والعذاب في الآخرة**»[٨]. وإنّ الكذب يُسوِّد الوجه كما قال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ**

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٩٠، ص ٢٧٦.

(٢) م. ن، ج٩١، ص ١٥١.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٣.

(٤) سورة غافر، الآية: ٢٨.

(٥) سورة النحل، الآية: ١١٦.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٤٤.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ٧٨.

(٨) عيون الحكم والمواعظ، الواسطي، ص ٢٠٩.

كَذَبُواْ عَلَى اللهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾(١)، وروي عن رسول اللّه ﷺ: «**إنّ الكذب يُسوّد الوجه**»(٢).

هذا بالإضافة إلى أنّ الكذب يؤدّي إلى الحرمان من النِّعم والابتلاء بالفقر، قال رسول اللّه ﷺ: «**الكذب يُنقص الرِّزق**»(٣)، وعن الإمام عليّ عليه السلام: «**اعتياد الكذب يورث الفقر**»(٤).

ونحن نعيش اليوم ـ للأسف الشديد ـ أكثر الأزمان الّتي عُرف فيها اعتياد الكذب والغشّ والنفاق بين الناس، بل اختلط فيه الحقّ بالباطل، وأصبح العمل بالحقّ باطلاً والعمل بالباطل حقّاً، وهذا أمير المؤمنين عليه السلام يُحدِّثنا عن هكذا زمان مظلم بالباطل، حينما يقول: «**إنّه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحقّ ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله**»(٥).

٣- عدم شكر الله على نعمه:

«**سيّدي.. لعلّك رأيتني غير شاكر لنعمائك فحرمتني**».

إنّ نِعَم اللّه تعالى وجزيل عطائه على الإنسان كثيرة لا تُحصى ولا تُعدّ، بل لا تنقطع ولا تنضب، حتى عن الكافر والناكر لوجود اللّه وجميل صنعه عليه. ينعم اللّه على المؤمن والكافر بنعمة النظر والسمع وتنفّس الهواء وغيرها على حدٍّ سواء.

ولكن هل سألنا أنفسنا نحن المؤمنين باللّه وبعظيم نعمه علينا، إن كنّا من الشاكرين للّه تعالى على هذه النِّعم الجزيلة والعظيمة؟

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**في كلّ نفسَ من أنفاسك شكر لازم لك، بل ألف**

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٠.

(٢) ميزان الحكمة، الريشهري، ج٣، ص ٢٦٧٧.

(٣) م. ن، ج٣، ص ٢٦٧٨.

(٤) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٦٩، ص ٢٦١.

(٥) م. ن، ح ٣٤، ص ٢٣٣.

وأكثر»[1]، وعنه عليه السلام: **«ما من عبد إلا ولله عليه حجّة، إمّا في ذنب اقترفه، وإمّا في نعمة قصّر عن شكرها»**[2].

وقال عليه السلام: **«أوّل ما يجب عليكم لله سبحانه، شكر أياديه وابتغاء مراضيه»**[3].

بالتالي لكي تدوم نِعَم المولى عزَّ وجلَّ علينا لا بُدّ أن نقابل نعمه بالشكر والحمد، قال الإمام عليّ عليه السلام: **«أحسن الناس حالاً في النِّعم من استدام حاضرها بالشكر، وارتجع فائتها بالصبر»**[4]، وعنه عليه السلام: **«إذا وصلت إليكم أطراف النِّعم فلا تُنفِّروا أقصاها بِقلّة الشكر»**[5].

٤- الابتعاد عن مجالس العلماء وحضور مجالس البطّالين:

«سيّدي.. لعلّك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني، أو لعلّك رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني، أو لعلّك رأيتني آلف مجالس البطّالين فبيني وبينهم خلّيتني».

لقد حثّ الإسلام العظيم - بشكل عامّ - على حضور المجالس الّتي يُذكر الله تعالى فيها وعدم الابتعاد عنها؛ لأنّها تُشكّل روضة من رياض الجنّة كما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«ارتعوا في رياض الجنّة، قالوا: يا رسول الله، وما رياض الجنّة؟ قال: مجالس الذكر»**.[6]

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: **«ما قعد عدّة من أهل الأرض يذكرون الله إلّا قعد معهم عدّة من الملائكة»**[7].

---

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٦٨، ص ٥٢.

(٢) أمالي الطوسي، ص ٢١١.

(٣) ميزان الحكمة، الريشهري، ج٢، ص ١٤٨٤.

(٤) عيون الحكم والمواعظ، الواسطي، ص ١٢٤.

(٥) شرح نهج البلاغة، لابن أبي حديد، ج١٨، ص ١١٥.

(٦) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج٩٠، ص ١٦٣.

(٧) م.ن، ج٩٣، ص ١٦٣.

ولكنّ السؤال المهمّ في هذا الصدد: مَن نُجالس؟ ومن هؤلاء الّذين نُجالسهم فيُذكِّرون بالله تعالى وبنبيّه ﷺ وأهل بيته عليهم السلام؟

قال رسول الله ﷺ:

«**قالوا - الحواريّون لعيسى عليه السلام -: يا روح الله فمَن نُجالس إذاً؟**

قال عليه السلام: **من يُذكِّركم الله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه، ويُرغِّبكم في الآخرة عمله**»[1].

وفي وصية لقمان عليه السلام لابنه: «**يا بُنيّ! جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإنّ الله عزَّ وجلَّ يُحيي القلوب بنور الحكمة كما يُحيي الأرض بوابل السماء**»[2].

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «**جالس العلماء يزدد علمك، ويحسن أدبك، وتزكُ نفسك**»[3].

نستنتج من وصايا أهل البيت عليهم السلام لنا، أنّ أهمّ مجالس الذكر وأعظمها هي مجالس العلماء الّذين قال عنهم رسول الله ﷺ: «**النظر إلى وجه العالم عبادة**»[4]. ولكن أيّ عبادة هي تلك؟!

يُجيبنا الإمام الصادق عليه السلام قائلاً، لمّا سُئِل عن قول النبيّ ﷺ: «**النظر في وجوه العلماء عبادة** -: **هو العالم الّذي إذا نظرت إليه ذكّرك الآخرة، ومن كان خلاف ذلك فالنظر إليه فتنة**»[5].

---

(١) تحف العقول، للحراني، ص ٤٤.

(٢) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج١، ص ٢٠٤.

(٣) عيون الحكم والمواعظ، الواسطي، ص ٢٢٣.

(٤) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج١، ص ١٩٥.

(٥) تنبيه الخواطر، ج١، ص ٨٤.

في المقابل نهى الإسلام بشدّة عن حضور مجالس البطّالين وأهل السوء، قال تعالى: ﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ**﴾[١].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**لا ينبغي للمؤمن أن يجلس مجلساً يُعصى الله فيه، ولا يقدر على تغييره**»[٢]، وقال الإمام عليّ عليه السلام: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقوم مكان ريبة**»[٣].

وعنه عليه السلام: «**مجالسة أهل الهوى منساة للإيمان، ومحضرة للشيطان**»[٤]. وعنه عليه السلام: «**لا يأمن مجالسو الأشرار غوائل البلاء**»[٥].

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «**إيّاك ومصاحبة أهل الفسوق، فإنّ الراضي بفعل قوم كالداخل معهم**»[٦].

ونُلاحظ أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء أبي حمزة الثماليّ قد ذكر مسألة (الغفلة عن ذكر الله)، وهي من المسائل الخطرة الّتي قد يُبتلى بها الإنسان والّتي تُفقده الرحمة الإلهية، ففي حديث المعراج: «**يا أحمد! إجعل همّك همّاً واحداً، فأجعل لسانك لساناً واحداً، واجعل بدنك حيّاً لا تغفل أبداً، من غفل عنّي لا أبالي بأيّ واد هلك**»[٧].

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٠.
(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص ٣٧٥.
(٣) م. ن، ج٢، ص ٣٧٨.
(٤) ميزان الحكمة، الريشهري، ج١، ص ٤٠٣.
(٥) م. ن، ج١، ص ٤٠٤.
(٦) م. ن، ج٢، ص ١٥٨٦.
(٧) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٧٤، ص ٢٩.

ويقـول الإمام علـيّ عليه السلام: «**فيا لها حسرة علـى كلّ ذي غفلة أن يكـون عمره عليه حجّة، وأن تؤدّيه أيّامه إلى الشقوة!**»[١].

بالتالـي يجب علينا أن لا نعيش طول الأمل والاغتـرار بالحياة، فالله تعالى يُمهِل ولا يُهمِل، عنه عليه السلام: «**إيّاك والغفلة والاغترار بالمُهلة، فإنّ الغفلة تُفسد الأعمال**»[٢].

والمطلوب منّا أن نعيش حالة اليقظة على الدوام، ومحاسبة النفس ومراقبتها، فعن عليّ عليه السلام قال: «**من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر**»[٣].

٥- ارتكاب الذنوب والآثام:

«**سيّدي.. لعلّك بجرمي وجريرتي كافيتني**».

إنّ مـن أبرز أسباب البُعد عن الله تعالى ارتـكاب الذنوب والآثام، وتجرُّؤ العبد على هذا في حضرة المولى عزَّ وجلَّ.

ولذا لا بُدّ أن نعرف دور الذنوب وأثرها الخطير في فساد القلب والفطرة السليمة الّتي فطر الله تعالى عباده عليها، قال تعالى: ﴿**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[٤].

وورد عـن الإمـام الباقر عليه السلام قوله: «**ما مـن شيء أفسـد للقلب مـن خطيئة، إنّ القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتّى تغلب عليه فيصير أعلاه أسفله**»[٥].

فـلا بدّ أن نعمل جاهدين للحفاظ على صفحة قلوبنا لكي تبقى بيضاء، وأن لا نترك لبقـع الذنوب السـوداء أن تغلب عليهـا، وإذا ابتُلينا بذلك علينـا أن نغسلها بماء التوبة النصـوح الصادقـة، فقد قـال الإمام الباقـر عليه السلام: «**ما من عبـد إلا وفـي قلبه نكتة بيضـاء، فـإذا أذنـب ذنباً خرج في النكتـة نكتة سوداء، فإن تاب ذهب ذلـك السواد، وإن**

---

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٤٢، ص ٢٠٧.

(٢) ميزان الحكمة، للريشهري، ج٣، ص ٢٢٨٧.

(٣) نهج البلاغة، ج٤، ص ٤٧.

(٤) سورة المطففين، الآية: ١٤.

(٥) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص ٢٦٩.

تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يُغطّي البياض، فإذا غطّى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً، وهو قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم ..﴾»[١].

إضافة إلى ذلك فإنّ ارتكاب الذنوب والآثام يؤدّي إلى عدم استجابة الدعاء، ويُشكّل مانعاً بيننا وبين الله تعالى، فعن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «**لا تستبطئ إجابة دعائك وقد سددت طريقه بالذنوب**»[٢].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**إنّ العبد يسأل الله الحاجة فيكون من شأنه قضاؤها إلى أجل قريب أو إلى وقت بطيء، فيُذنب العبد ذنباً فيقول الله تبارك وتعالى للملك: لا تقض حاجته واحرمه إيّاها، فإنّه تعرّض لسخطي واستوجب الحرمان منّي**»[٣].

فلنحذر إذاً من غضب الله سبحانه، وأن لا نتمادى في ارتكاب المعاصي، فقد ورد في الزبور: «**يقول الله تعالى: يا ابن آدم، تسألني فأمنعك لعلمي بما ينفعك، ثمّ تُلحّ عليّ بالمسألة فأُعطيك ما سألت فتستعين به على معصيتي، فأهِمّ بهَتْك سِتْرِك، فتدعوني فأستر عليك، فكم من جميل أصنع معك، وكم قبيح تصنع معي؟ يوشك أن أغضب عليك غضبة لا أرضى بعدها أبداً**»[٤].

ولكي نبدأ بداية صحيحة علينا ترك الذنوب أولاً، لتُفتح لنا بذلك أبواب التوبة والرحمة، قال الإمام عليّ عليه السلام: «**ترك الذنب أهون من طلب التوبة**»[٥].

الدعاء والمناجاة:

«**سيّدي.. لعلّك لم تُحِبّ أن تسمع دعائي فباعدتني**».

لقد أمرنا المولى عزَّ وجلَّ أن نُناجيه وندعوه: «**ادعوني استجب لكم**»، لما في ذلك

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٧٣، ص ٣٢٧.

(٢) حلية الأولياء، لأبي نعيم، ج ١٠، ص ٥٤.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص ٢٧٢.

(٤) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٧٤، ص ٤٣.

(٥) نهج البلاغة، ج٤، ص ٤٢.

من لذّة المناجاة وعشق العاشقين، بل وحبّ اللّه الرؤوف الحميد لسماع أصواتنا ومناجاتنا في الليل والنهار.

في المقابل يُبغض اللّه الجبّار القويّ سماع أصوات المنافقين والكافرين، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**قال الله تعالى: وعزّتي وجلالي وعظمتي وبهائي، إنّي لأحمي وليّي أن أعطيه في دار الدنيا شيئاً يُشغله عن ذكري حتّى يدعوني فأسمع صوته، وإنّي لأُعطي الكافر مُنيته حتّى لا يدعوني فأسمع صوته بُغضاً له**»[١].

ولهذا لنكن من الّذين يُحبّ اللّه تعالى سماع صوتهم ومناجاتهم، لا من الّذين يُبغض أصواتهم، قال الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ العبد ليدعو فيقول الله عزَّ وجلَّ للملكين: قد استجبت له ولكن احبسوه بحاجته، فإنّي أُحبّ أن أسمع صوته، وإنّ العبد ليدعو فيقول اللّه تبارك وتعالى: عجّلوا له حاجته فإنّي أُبغِض صوته**»[٢].

الاستحياء من الله تعالى:

إنّ من أبرز علامات المؤمن الاستحياء من اللّه تعالى في السرّ والعلن، فعن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**استحي من الله استحياءك من صالحي جيرانك، فإنّ فيها زيادة اليقين**»[٣]، وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «**استحيوا من الله في سرائركم كما تستحيون من الناس في علانيتكم**»[٤].

بل أفضل الحياء هو من اللّه تعالى كما يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**أفضل الحياء استحياؤك من الله**»[٥].

فاللّه تعالى قريب منّا في كلّ زمان ومكان، فلا نعتقد بأننا في الخفاء وفي مأمن من

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج٩٠، ص ٣٧١.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص ٤٨٩.

(٣) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٧٥، ص ٢٠٠.

(٤) تحف العقول، للحراني، ص ٣٩٤.

(٥) ميزان الحكمة، الريشهري، ج١، ص ٧١٩.

مراقبة الله سبحانه وقدرته علينا، قال الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**خف الله تعالى لقدرته عليك، واستحي منه لقربه منك**»[١].

ولذا لا يخلو الاستحياء من الله تبارك من أثر، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**الحياء من الله يمحو كثيراً من الخطايا**»[٢].

ومن هنا كان لا بدّ أن نعطي الحياء من الله جلَّ جلاله حقّه، وهذا ما أوصانا به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حينما قال: «**استحيوا من الله حقّ الحياء، فقيل: يا رسول الله ومن يستحيي من الله حقّ الحياء؟**

فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ **: من استحيى من الله حق الحياء:**

فليكتب أجله بين عينيه،

وليزهد في الدنيا وزينتها،

ويحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، ولا ينسَ المقابر والبِلى»[٣].

كيف ننال العفو الإلهي؟

«**سيّدي.. فإن عفوت يا ربّ فطال ما عفوت عن المذنبين قبلي، لأنّ كرمك أي ربّ يجلُّ عن مكافأة المقصِّرين وأنا عائذ بفضلك، هارب منك إليك، متنجِّز ما وعدت من الصفح عمّن أحسن بك ظناً**».

إنّ اعترافنا بذنوبنا والإقرار بها في حضرة الباري عزَّ وجلَّ، يخطو بنا خطوة نحو نيل عفو الله تعالى والفوز برضوانه، فعن الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**والله ما ينجو من الذنب إلاّ من أقرّ به**»[٤].

---

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٧٥، ص ١٤٢.

(٢) ميزان الحكمة، الريشهري، ج١، ص ٧١٩.

(٣) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٦، ص ١٣١.

(٤) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص ٤٢٦.

وكان من دعاء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام المرويّ عن كميل بن زياد: «**وقد أتيتك يا إلهي بعد تقصيري وإسرافي على نفسي، مُعتذِراً نادماً، مُنكسِراً مُستقيلاً، مُستغفِراً مُنيباً، مُقرّاً مُذعِناً مُعترِفاً..**»[١].

هذا ولا بدّ أن يقترن الإقرار والاعتراف بالذنوب بشروط أخرى أيضاً، كالندم على ما مضى، فعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**كفى بالندم توبة**»[٢].

والإمام زين العابدين عليه السلام أعطانا نموذجاً في مناجاة التائبين: «**إلهي إن كان الندم على الذنب توبة فإنّي وعزّتك من النادمين..**»[٣].

كما إنّه يجب علينا أن لا نكتفي بذلك، بل يجب أن نجبر الأعمال السيّئة التي ارتُكبت فيما مضى بالأعمال الصالحة مستقبلاً. والله الغفور الرحيم قد أبقى أبواب المغفرة والرحمة مفتوحة أمام المذنبين العاصين، وهو القائل عزَّ وجلَّ: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**﴾[٤]، والقائل: ﴿**فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[٥].

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «**من تنزّه عن حُرمات الله سارع إليه عفو الله**»[٦].

وعنه عليه السلام: «**ولكنّ الله يختبر عباده بأنواع الشدائد، ويتعبّدهم بأنواع المجاهد، ويبتليهم بضروب المكاره، إخراجاً للتكبُّر من قلوبهم، وإسكاناً للتذلُّل في نفوسهم، وليجعل ذلك أبواباً فتّحاً إلى فضله، وأسباباً ذلّلاً لعفوه**»[٧].

فإنّ من أسماء الله الحسنى (العفوّ) وهو القائل في محكم كتابه العزيز: ﴿**إِنَّ اللهَ كَانَ**

---

(١) مفاتيح الجنان، الشيخ عبّاس القمي، ص ١٥١.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص ٤٢٦.

(٣) مفاتيح الجنان، الشيخ عبّاس القمي، ص ٢٥٤.

(٤) سورة الشورى، الآية: ٢٥.

(٥) سورةالمائدة، الآية: ٣٩.

(٦) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٧٥، ص ٩٠.

(٧) م. ن، ج٦، ص ١١٥.

عَفُوًّا غَفُورًا﴾[١]. وهذا أمير المؤمنين عليه السلام يدعو بذلك: «**اللّهمّ احملني على عفوك ولا تحملني على عدلك**»[٢].

وفي مناجاته عليه السلام: «**إلهي أُفكّر في عفوك فتهون عليّ خطيئتي، ثمّ أذكر العظيم من أخذك فتعظم عليّ بليّتي**»[٣].

قال الشاعر:

إلهي لا تُعذّبني فإنّي ... مُقِرٌّ بالّذي قد كان منّي

فما لي حيلة إلا رجائي ... وعفوك إن عفوت وحسن ظنّي

الهروب من الله والى الله:

«**وَأَنَا (يَا سَيِّدِي) عَائِذٌ بِفَضْلِكَ، هَارِبٌ مِنْكَ إِلَيْكَ..**»..

إنّ الهروب من الله تعالى ليس هروباً من ذاته عزَّ وجلَّ، بل الهروب من غضبه وعذابه خوفاً منه، ذلك العذاب الّذي يترتّب على فعل العبد نفسه.. ولهذا فإنّ القرآن الكريم يجعل الخوف من مقام الربّ، هو السبب المحرِّك لتهذيب النفس، كما في قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى**﴾.. فمقام الربّ، هو ذلك المكان الّذي يُخاف منه هيبةً ووجلاً.. والإنسان إذا كان صادقاً في الخوف من غضب الله تعالى، فلا بُدّ أن يتحرّك، ولا بُدّ أن يرحل ويمشي ويسير، ولكن إلى من يلتجئ؟.. وبمن يلوذ؟.. لا شكّ أنّ الجواب: إنّ العبد لا ملجأ له من الله تعالى إلا إليه، فهو القائل تعالى: ﴿**فَفِرُّوا إِلَى اللهِ**﴾.. فهو يُفرّ منه، إليه.. يُفرّ منه بوصف المنتقميّة والغضب؛ ويُهرب إليه بوصف الرحمانية والرحيمية.. فإذاً، الإنسان الّذي يعيش هذه الحقيقة من الخوف، هو في حركة مستمرّة دون انقطاع من الله وإلى الله تعالى.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٣.

(٢) نهج البلاغة، ج٢، ص ٢٢٢.

(٣) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٤١، ص ١٢.



المفاهيم الأساس

١. إنّ القـرب من الله تعالى والوصول إلى رضوانـه هو الهدف الأسمى من خلق الإنسان.

٢. هناك العديد من الأمور الّتي يرتكبها الإنسان تؤدّي به إلى البعد عن الله تعالى، مثلاً: الكذب على الله تعالى، وعدم شكر النِّعم، وارتكاب الذنوب والمعاصي وغيرها.

٣. لا بُدّ للمؤمن أن يضـع نصب عينيه المعادلـة التالية: «**الهروب من معصيـة الله وعذابـه، وفـي الوقـت ذاتـه الهـروب إلـى طاعـة الله ورحمته**».



للمطالعة:

لذيذ المناجاة

النبيّ موسى عليه السلام مع الطائر الذي يذكر الله:

في الرواية أنّ موسى عليه السلام قال يوماً: يا ربّ أُريد أن أرى خالص خلقك الّذي لا يُشغل بغيرك، فقال تعالى له: أخرج إلى ساحل البحر الفلانيّ، فخرج موسى إلى البحر فرأى طيراً على غصن شجرة مائل إلى البحر مشغولاً بذكر الربّ، فسأله موسى عن حاله.

فقال الطير: منذ خلقني الله كنت هنا مشغولاً بذكره، أذكره كلّ يوم كيت وكيت ذكراً ينشعب من كلّ ذكر ألف ذكر، وقوّتي هنا من لذّة ذكره تعالى.

فقال له موسى: افتمنّيت من الدنيا شيئاً قطّ.

قال: لا يا موسى ولكن في قلبي منية واحدة.

قال موسى: ما هي؟

قال الطير: أن أشرب من ماء هذا البحر قطرة.

فتعجّب موسى من قوله، وقال: أيّها الطير ليس بين منقارك وبين الماء مسافة لِمَ لم تضربه على الماء؟

قال الطير: أخاف أن تمنعني لذّته لذة ذكر ربّي، وأن يُشغلني عن ذكره تعالى هذه اللحظة.

فضرب موسى يده على رأسه تعجّباً[1].

(١) راجع لآلئ الأخبار.

رجاء الخائفين

من دعاء أبي حمزة الثماليّ:

«إِلهي لَو قَرَنْتَني بِالأصفادِ، وَمَنَعتَني سَيبَكَ مِن بَينِ الأَشهادِ وَدَلّتَ عَلى فَضايِحي عُيُونَ العِبادِ، وَأَمَرتَ بي إِلى النّار، وَحُلتَ بَيني وَبَينَ الأَبرارِ، ما قَطَعتُ رَجائي مِنكَ وَما صَرَفتُ تَأميلي لِلعَفوِ عَنكَ، وَلا خَرَجَ حُبُّكَ مِن قَلبي».

تمهيد:

روي عـن الحـارث بن المغيرة، أو أبيه، عن أبي عبـد الله الصادق عليه السلام قال: قلت له: ما كان في وصية لقمان؟ قال عليه السلام: «**كان فيها الأعاجيب وكان أعجب ما كان فيها أن قال لابنه: خف الله عزَّ وجلَّ خيفة لو جئته ببرّ الثقلين لعذّبك، وارج الله رجاء لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك**».

ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: «**كان أبي يقول: إنّه ليس من عبد مؤمن إلّا وفي قلبه نـوران: نـور خيفة ونـور رجاء، لو وُزن هذا لم يزد على هذا ولـو وُزن هذا لم يزد على هذا**»[1].

يقول الإمام الخمينيّ قدس سره: إنّ هذا الحديث الشريف يدلّ على: «**أن كلّاً من الخوف والرجـاء يجـب أن يصـل إلـى مرتبة الكمال، ولا يجوز اليأس مـن رحمة الله أبداً، ولا الأمان من مكره مطلقاً**»[2].

مفهوم الرجاء والخوف:

الرجــاء: هو الانتظار والأمل بالمستقبـل؛ أي إذا كان المنتظَر محبوباً فإنّه يتعلّق به القلـب ويشعر باللذّة والارتيـاح فيُسمّى هذا بالرجاء. ولذا فإنّ أسباب الرجاء تؤول إلى لطـف الله وجوده وسعة رحمته وعفوه وغفرانه ووفور إحسانه، وما على الإنسان المؤمن إلاّ القيـام بالعمـل الصالح والسعي نحو مرضاة الله تبـارك وتعالى والتدرّج في الكمال الروحيّ حيث الفوز بنعيم الجنّة والرضوان.

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص ٦٧.

(٢) الأربعون حديثاً، الإمام الخمينيّ قدس سره ح١٤، ص٢٦٩.

الخوف: هو الخشية والألم والاضطراب؛ أي إذا كان المنتظَر مكروهاً حصل منه ألم في القلب سُمّي خوفاً وإشفاقاً ووجلاً ورهبةً. ولذا فإنّ أسباب الخوف ترجع إلى نقص العبد وتقصيره وسوء أعماله وقصوره عن الوصول إلى مراتب القرب والوصال وانهماكه فيما يوجب الخسران والوبال، فضلاً عن النظر إلى شدّة بأس الله وبطشه وما أوعد العاصين من عباده فهو أيضاً موجب للخوف.

المؤمن وحقيقة الرجاء :

يقول أرباب القلوب: «**إنّ الدنيا مزرعة الآخرة**». لذا يشبِّهون قلب الانسان المؤمن بالأرض، والإيمان بالبذر فيها، والطاعات جارية مجرى تقليب الأرض وتطهيرها، ومجرى حفر الأنهار وسياقة الماء إليها. أمّا قلب الإنسان غير المؤمن المستغرِق في الدنيا، فهو كالأرض السبخة (الصلبة واليابسة) الّتي لا ينمو فيها البذر.

بالتالي فإنّ يوم القيامة هو يوم الحصاد، ولا يحصد أحدٌ إلاّ ما زرع في الدنيا، ولا ينمو زرع إلاّ من بذر الإيمان، ولا ينفع إيمان مع خُبث القلب وسوء أخلاقه، كما لا ينمو بذر في أرض سبخة.

ولهذا ينبغي أن يُقاس رجاء العبد للمغفرة برجاء صاحب الزرع، فكلّ من طلب أرضاً طيّبة وألقى فيها بذراً جيّداً غير عفن ولا مسوِّس، ثم أمدّه بما يحتاج إليه وهو سياق الماء إليه في أوقاته ثم نقّى الأرض من الشوك والحشيش، وما يمنع نبات البذر أو يُفسده، ثم جلس منتظِراً من فضل الله رفع الصواعق والآيات المفسدة إلى أن يُثمر الزرع ويبلغ غايته، سُمِّيَ انتظاره رجاء. وأمّا إن بثّ البذر في أرض صلبة سبخة مرتفعة لا ينصبّ الماء إليها، ولم يُشغل بتعهّد البذر أصلاً ثم انتظر حصاد الزرع يُسمّى انتظاره حَمَقاً وغروراً، لا رجاء. وإن بثّ البذر في أرض طيّبة ولكن لا ماء لها، وينتظر مياه الأمطار حيث لا تغلب الأمطار ولا يمتنع، سُمّي انتظاره تمنّياً لا رجاء[1].

---

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج٦٧، ص٣٥٢ـ٣٥٥.

إذاً نستنتج أن العبد المؤمن هو من بذر في قلبه بذور الإيمان، وسقاها بماء الطاعة الخالصــة، وطهّر القلب من المفسدات والموانع مثل العجب والرياء وأمثالهما الّتي تُعدّ بمثابــة الأعشاب الضارّة العائقة لنموّ الــزرع، ثمّ انتظر فضل اللّه ورجاءه أن يثبّته على الحقّ حتّى آخر نفس في حياته، وأن يجعل عاقبته حسن الخاتمة المفضية إلى المغفرة، بذلــك يكون انتظاره رجــاء حقيقيّاً محموداً ومستحسنــاً، يقول تعالــى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُوْلَـئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللهِ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[١]. عن الحسن بن أبي سارة قال: سمعت أبا عبد اللّه الصادق عليه السلام يقول: «**لا يكون المؤمن مؤمنــاً حتّــى يكــون خائفاً راجياً، ولا يكــون خائفاً راجياً حتّى يكــون عاملاً لما يخاف ويرجو**»[٢].

بينما العبد الّذي انقطع عن بذر الإيمان وتعهّده بسقيه من ماء الطاعات، أو ترك القلب مشحوناً برذائل الأخلاق وانهمك في طلب لذّات الدنيا، وفيما يكرهه اللّه، ولا يذمّ نفسه عليه، ولا يعزم على التوبة والرجوع، فرجاؤه المغفرة حمق كرجاء من بثّ البذر في أرض سبخة وعزم على أن لا يتعهّده بسقي ولا تنقية ثمّ انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور، قال تعالى: ﴿**فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا...**﴾[٣]. وفي الكافي باسناده عن ابن أبي نجران، عمّن ذكره، عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: «**قلت له: قوم يعملون بالمعاصي ويقولون نرجو، فلا يزالون كذلك حتّى يأتيهم الموت، فقال: هؤلاء قوم يترجّحون (الترجّح: الميل، يعنى مالت بهم عن الاستقامة أمانيهم الكاذبة) في الأماني، كذبوا، ليسوا براجين، إنّ من رجا شيئاً طلبه ومن خاف من شيء هرب منه**»[٤].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٨.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص٧١.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٦٩.

(٤) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص٦٨، ح٥.

تعادل الخوف والرجاء عند المؤمنين:

إنّ الخوف ليس ضدّ الرجاء، بل هو رفيق له وباعث آخر بطريق الرهبة، كما أنّ الرجاء باعث بطريق الرغبة. فلا بدّ أن يكون العبد دائماً بين الخوف والرجاء في دار الدنيا، لا يغلب أحدهما على الآخر، بل يكونان متساويين لا إفراط أو تفريط فيهما، قال الإمام عليّ عليه السلام: «**خير الأعمال اعتدال الرجاء والخوف**»[١] وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**كان أبي** عليه السلام **يقول: ليس من عبد مؤمن إلّا وفي قلبه نوران: نور خيفة ونور رجاء. ولو وُزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن هذا لم يزد على هذا**»[٢].

إذ لو رجح الرجاء لزم الأمن وهو في غير موضعه، قال تعالى: ﴿**أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[٣]. ولو رجح الخوف لزم اليأس الموجب للهلاك، قال سبحانه: ﴿**... وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾[٤].

يُعلِّق الإمام الخمينيّ قدس سره على هذه المسألة، قائلاً: «... **يرى الإنسان نفسه في منتهى النقص والتقصير، ويرى الحقّ في منتهى العظمة والجلال، وسعة الرحمة والعطاء، ويعيش العبد بين هاتين النظرتين دائماً في حال متوازية بين الخوف والرجاء. وحيث إنّ الأسماء الجلاليّة والجماليّة تتجلّى في قلب السالك بصورة متعادلة لا يترجّح كلٌّ من الخوف والرجاء على الآخر**»[٥].

---

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج١، ص ٨٢٦، ح ٤.

(٢) وسائل الشيعة، ج١٥، ص٢١٦، ح١.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٩٩.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٨٧.

(٥) الأربعون حديثاً، ح١٤، ص٢٧٨.

خطر اليأس من رحمة الله الواسعة وآثاره:

إنّ حقيقــة الرجــاء ـ كما سبق وأشرنا إليه – ليس فقــط زرع الإيمان بالله في القلب وسقيه بالطاعة والعبادة، بل لا بدَّ من الاستمرار في مراقبة هذا الإيمان القلبيّ والتعهّد بعــدم ارتكاب المعاصي والذنــوب، وأن لا يسمح بدخول اليأس إلى حــرم قلبه أبداً؛ لأنّ اليأس هو حالة مضادّة للرجاء ويمنع من التعهّد والاستمرار في تعلّق الأمل بالله تعالى.

قال تعالى: ﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاء الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ﴾[1].

وقــال الرســول الأكــرم ﷺ: «**الفاجر الراجـي لرحمـة الله تعالى أقـرب منها من العابد المقنط**»[2].

ولذا فإنّ تورّط الإنسان في الذنوب والمعاصي يؤدّي به إلى الابتلاء بالقنوط واليأس، وهمــا من الآثار المدمّــرة لحياة الإنسان حيث يعيش حالة من الاحباط والضياع الدائم في الدنيا والآخرة، فعن رسول الله ﷺ قال: «**يبعث الله المقنطين يوم القيامة مغلّبة وجوههـم يعنـي غلبـة السواد على البياض فيُقال لهم: هـؤلاء المقنطون من رحمة الله**»[3].

ولكــن بالرغم من ذلك فإنّ المولى عزَّ وجلَّ لم يُغلــق باب العفو والتوبة أمام عباده، بــل منّ عليهم برحمتــه الواسعة الّتي شملت كلّ شيء، وجعل بــدل السبيل الواحد سبلاً للعــودة إلى الحضرة الإلهيّــة، ومن تلك السبل الاستغفار ورجــاء المغفرة. يقول الإمام علــيّ عليه السلام: «**عجبـت لمن يقنط ومعـه الاستغفار**»[4]. وقــال الإمام الصادق عليه السلام: «**أرج الله رجاءً لا يُجرّئك على معاصيه وخف الله خوفاً لا يؤيسك من رحمته**»[5].

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٩.

(٢) كنز العمال، ج٣، ص١٤٠، ح ٥٨٦٩.

(٣) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج٢، ص٥٥، ح٣٠.

(٤) نهج البلاغة، ج٤، ص ١٩.

(٥) أمالي الصدوق، ص ٦٥، ح٥.

صفات الخائفين والراجين الله تعالى:

١- لا يخافون إلا الله عزَّ وجلَّ، قال تعالى حاكياً عن ابن آدم عليه السلام: **﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾**[1]، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**من خاف الله عزَّ وجلَّ أخاف الله منه كلّ شيء، ومن لم يخف الله عزَّ وجلَّ أخافه الله من كلّ شيء**»[2].

قصة لليقظة...

رويَ عن ليث بن أبي سليم، قال: سمعت رجلاً من الأنصار يقول: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستظلّ بظلّ شجرة في يوم شديد الحرّ، إذ جاء رجل فنزع ثيابه ثمّ جعل يتمرّغ في الرمضاء (الصحراء) يكوي ظهره مرّة، وبطنه مرّة، وجبهته مرّة، ويقول: يا نفس ذوقي فما عند الله عزَّ وجلَّ أعظم مما صنعت بك. ورسول الله ينظر إلى ما يصنع، ثمّ إنّ الرجل لبس ثيابه ثمّ أقبل فأومأ إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيده ودعاه فقال له: «**يا عبد الله لقد رأيتك صنعت شيئاً ما رأيت أحداً من الناس صنعه فما حملك على ما صنعت؟**».

فقال الرجل: حملني على ذلك مخافة الله عزَّ وجلَّ. وقلت لنفسي: يا نفس ذوقي فما عند الله أعظم ممّا صنعت بك. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**لقد خفت ربّك حقّ مخافته فإنّ ربّك ليباهي بك أهل السماء**»، ثم قال لأصحابه: «**يا معاشر من حضر أدنوا من صاحبكم حتّى يدعو لكم**»، فدنوا منه فدعا لهم وقال: «**اللّهمّ اجمع أمرنا على الهدى، واجعل التقوى زادنا والجنّة مآبنا**»[3].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٨.

(٢) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٦٧، ص ٣٨١.

(٣) م. ن، ج ٨٣، ص ٥٢.

٢ ـ الرجاء والخشية من الله تعالى فقط، قال تبارك: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لاَ يَرْجُونَ﴾[١]، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللهَ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا﴾[٣].

قصة للعبرة..

رويَ عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله: «**كان عابد من بني إسرائيل فطرقته امرأة بالليل فقالت له: أضفني، فقال: امرأة مع رجل لا يستقيم، قالت: إني أخاف أن يأكلني السبع فتأثم، فخرج وأدخلها، قال: والقنديل بيده فذهب يصعد به، فقالت له: أدخلتني من النور إلى الظلمة، قال: فردّ القنديل، فما لبث أن جاءته الشهوة، فلما خشي على نفسه قرّب خنصره إلى النار فلم يزل كلما جاءته الشهوة أدخل إصبعه النار حتّى أحرق خمس أصابع فلمّا أصبح قال: أخرجي فبئست الضيفة كنت لي**»[٤].

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**من عرضت له فاحشة أو شهوة فاجتنبها من مخافة الله عزَّ وجلَّ حرّم الله عليه النار، وآمنه من الفزع الأكبر، وأنجز له ما وعده في كتابه في قوله ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾**»[٥].

٣ ـ التسابق إلى الأعمال الصالحة والتقرّب من الله تبارك، وتجنّب المعاصي والذنوب، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[٦]. وفي آية أخرى قال تبارك: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[٧].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٤.

(٢) سورة الأحزاب، الآية:٢١.

(٣) سورة الفتح، الآية: ٦.

(٤) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج٦٧، ص ٤٠١.

(٥) أمالي الصدوق، ص ٥١٥، والآية في سورة الرحمن: ٤٦.

(٦) سورة الواقعة، الآية: ١٢.

(٧) سورة النازعات، الآية: ٤١.

٤ ـ عـدم الغفلـة عن ذكـر الله سبحانه، روي عن الإمام الباقـر عليه السلام أنّه قال: «**في حكمة آل داود يا ابن آدم كيف تتكلّم بالهدى وأنت لا تفيق عن الردى يا ابن آدم أصبح قلبك قاسياً وأنت لعظمة الله ناسياً فلو كنت بالله عالماً وبعظمته عارفاً لـم تـزل منه خائفاً، ولمن وعده راجياً، ويحك كيف لا تذكر لحدك، وانفرادك فيه وحدك؟**»[١].

وعـن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**إنّ المؤمن لا يُصبح إلا خائفاً وإن كان مُحسِناً، ولا يُمسـي إلا خائفـاً وإن كان مُحسِنـاً، لأنّه بيـن أمرين: بين وقت قد مضى لا يدري ما الله صانع به، وبين أجل قد اقترب لا يدري ما يُصيبه من الهلكات**»[٢].

قصة معبّرة..

رويَ عـن أبـي عبـد الله الصـادق عليه السلام قال: «**مـرّ سلمـان (رضي الله عنـه) على الحدّاديـن بالكوفـة، فـرأى شاباً قد صُعِـق، والناس قد اجتمعوا حولـه، فقالوا له: يا أبـا عبـد الله هذا الشابّ قـد صُرِع، فلو قرأت في أُذُنه، قال: فدنا منه سلمان، فلما رآه الشابّ أفاق وقال: يا أبا عبد الله ليس بي ما يقول هؤلاء القوم، ولكنّي مررت بهؤلاء الحدّاديـن وهـم يضربون المرزبـات (المرزبات جمـع المرزبة: عُصيّـة من حديد)، فذكـرت قولـه تعالـى: ﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ مِـنْ حَدِيدٍ﴾[٣] فذهب عقلي خوفـاً من عقاب الله تعالـى، فاتّخـذه سلمـان أخاً، ودخل قلبـه حلاوة محبّته في الله تعالـى، فلم يزل معه حتّـى مرض الشاب فجاءه سلمـان فجلس عند رأسه وهو يجود بنفسه فقال: يا ملك الموت ارفق بأخي، قال: يا أبا عبد الله إنّي بكلّ مؤمن رفيق**»[٤].

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٢٠٣، ح ٤٨.

(٢) أمالي الطوسي، ج ٢، ص ٢٠٨، ح ٧.

(٣) سورة الحج، الآية: ٢١.

(٤) أمالي المفيد، ص ١٣٦، ح ٤.

٥- عدم الرضى عن النفس؛ أي الخائف والراجي الله سبحانه لا يرضى بالقليل من العمل، حتّى لو عمل كثيراً فيعتبر نفسه ما زالت قاصرة ومقصّره، وهذا ما يجعله مشغـولاً باستمرارية مراقبة النفس ومحاسبتهـا وتوبيخها على كلّ تقصير، بغية الاحتـراز من تضييع أنفاسه وأوقاته في غير مرضاة الله جلَّ جلاله وعبادته له. قال رسول الله ﷺ في حديث قدسيّ عن ربّ العالمين: «**لا يتّكل العاملون على أعمالهم الّتي يعملون بها لثوابي، فإنّهم لو اجتهدوا وأتعبوا أنفسهم أعمارهم فـي عبادتـي كانـوا مقصّريـن، غيـر بالغيـن فـي عبادتهـم كنـه عبادتـي، فيما يطلبـون مـن كرامتي والنعيـم في جنّاتي ورفيـع الدرجات العلـى في جواري، ولكـن برحمتـي فليثقوا وفضلـي فليرجوا، وإلـى حسن الظنّ بـي فليطمئنّوا، فإنّ رحمتي عند ذلك تُدركهم وبمَنّي أُبلّغهم رضواني وأُلبسهم عفوي، فإنّي أنا الله الرحمن الرحيم بذلك تسمّيت**»[١].

وقفة تأمّل:

بعد هذه القصص المذكورة لا بُدَّ أن نسأل أنفسنا:

أيـن هي تلك القلوب الخائفة مـن الله؟ وأين تلك النفوسـ الخاشعة لله؟ وأين تلك الأرواح الراهبة الله؟

وهل تتلاءم أعمالنا وما يصدر عنّا من أفعال وسلوكيّات مع الخشية من جبار الأرض والسماء؟

وهل يراقب الله في أعمالنا وتصرفاتنا مع الناس ومع الوالدين ومع الزوجة والزوج والأولاد؟

أم هل سلب الله عزَّ وجلَّ من قلوبنا وأفئدتنا الخشية والرهبة منه؟

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٢١٢، ح ١٨.

وهل أضحى الخوف والرجاء من اللّه لقلقة لسان نتشدّق بها في مساجدنا وجوامعنا وفي دعائنا وصلاتنا؟

وهل تطمئن قلوبنا وتستقرّ بذكر اسمه جلّ جلاله؟

وهل تتأثّر قلوبنا وتتفاعل أنفسنا عند سماع موعظة أو عبرة؟ أم لا نتفاعل ولا نتأثّر وتبقى قلوبنا قاسية كالحجارة بل أشدّ من ذلك؟!

وهل أعددنا أنفسنا لرحلة القبر وضغطته؟ وهل نقدر على أن نُجيب عن أسئلة منكر ونكير؟

وهل تهيّأنا لتلك الساعة الّتي تصطك فيها الرُّكَبُ وترتعش الأجسام وتقشعرّ الأبدان لهول الموقف والحساب؟

وهل استعددنا ليوم تشخص فيه القلوب والأبصار...؟

ويلي كلّما طال عمري كثرت خطاياي ولم أتب! فقد أفنيت بالتسويف والآمال عمري! أما آن لي أن استحي من ربي؟!

آه.. آه... لَيْتَ شِعْري أَلِلشَّقاءِ وَلَدَتْني اُمّي، اَمْ لِلْعَناءِ رَبَّتْني، فَلَيْتَها لَمْ تَلِدْني وَلَمْ تُرَبِّني!



المفاهيم الأساس

١. إنّ الخوف والرجاء هما من صفات المؤمن الواثق باللّه تبارك وتعالى.

٢. من صفات الخائفين والراجين من اللّه تعالى:

- عدم اليأس من رحمة الله الواسعة لكلّ شيء.
- لا يخاف المؤمن إلا من الله تعالى
- الرجاء والخشية من الله تعالى فقط.
- التسابق إلى الخيرات والعمل الصالح وتجنّب معصية الله سبحانه.
- مراقبة النفس ومحاسبتها على أيّ تقصير أو ذنب.
- عدم الرضا بالعمل القليل، وأن يرى الإنسان نفسه دائماً في تقصير مهما عمل في حياته.



للمطالعة:

قال طاووس الفقيه: رأيته ـ الإمام السجاد عليه السلام - يطوف من العشاء إلى السحر ويتعبّد، فلما لم ير أحداً رمق السماء بطرفه، وقال:

«**إلهي غارت نجوم سماواتك، وهجعت عيون أنامك، وأبوابك مفتّحات للسائلين، جئتك لتغفر لي وترحمني وتريني وجه جدّي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في عرصات القيامة**».

ثم بكى وقال: «**وعزّتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاكّ، ولا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرّض، ولكن سوّلت لي نفسي وأعانني على ذلك سترك المرخى به عليّ، فالآن من عذابك من يستنقذني؟ وبحبل من أعتصم إن قطعت حبلك عنّي؟ فواسوأتاه غداً من الوقوف بين يديك، إذا قيل للمخفّين جوزوا، وللمثقلين حطّوا، أمع المخفّين أجوز؟ أم مع المثقلين أحطّ؟ ويلي كلّما طال عمري كثرت خطاياي ولم أتب، أما آن لي أن أستحي من ربّي؟!**» ثم

بكى وأنشأ يقول:

أتُحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي ثمّ أين محبّتي
أتيت بأعمال قباح زريّة وما في الورى خَلْق جنى كجنايتي

ثم بكى وقال:

«سبحانك تُعصى كأنّك لا تُرى، وتحلم كأنّك لم تُعصَ، تتودّد إلى خلقك بُحسن الصنيع كأنّ بك الحاجة إليهم، وأنت يا سيّدي الغنيّ عنهم».

ثم خرّ إلى الأرض ساجداً.

قال (طاووس الفقيه): فدنوت منه ورفعت رأسه ووضعته على ركبتي وبكيت حتّى جرت دموعي على خدّه، فاستوى جالساً وقال: «**من الذي أشغلني عن ذكر ربي؟**».

فقلت: أنا طاووس يا ابن رسول الله ما هذا الجزع والفزع؟ ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا ونحن عاصون جانون، أبوك الحسين بن عليّ وأمّك فاطمة الزهراء، وجدّك رسول الله ﷺ!!

قال: فالتفت إليّ وقال:

«هيهات هيهات يا طاووس، دع عنّي حديث أبي وأمّي وجدّي، خلق الله الجنّة لمن أطاعه وأحسن، ولو كان عبداً حبشيّاً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان ولداً قرشيّاً، أما سمعت قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ﴾[1]؟ والله لا ينفعك غداً إلا تقدمة تُقدّمها من عمل صالح»[2].

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٠١.

(٢) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج٤٦، ص٨٢.

نعمة الشكر

من دعاء أبي حمزة الثماليّ:

«سيدي! عليك مُعوّلي ومُعتمدي ورجائي وتوكّلي، وبرحمتك تعلّقي، تُصيب برحمتك من تشاء، وتهدي بكرامتك من تُحبّ. اللّهمّ فلك الحمد على ما نقّيت من الشرك قلبي، ولك الحمد على بسط لساني، أفبلساني هذا الكالّ أشكرك أم بغاية جهدي في عملي أُرضيك وما قدر لساني يا ربّ في جنب شكرك وما قدر عملي في جنب نعمك وإحسانك إلا أنّ جودك بسط أملي، وشكرك قبل عملي».

تمهيد:

إنّ من الحقوق الإسلامية حقّ شكر الإنسان الّذي أكرمنا، فعن الإمام زين العابدين عليه السلام: «**أمّا حقّ ذي المعروف عليك فأن تشكره وتذكر معروفه، وتُكسبه المقالة الحسنة، وتُخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله عزَّ وجلَّ، فإذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سرّاً وعلانية، ثمّ إنْ قدرت على مكافأته يوماً كافيته**»[١].

بل شكر الناس على معروفهم وكرمهم من شكر اللّه تعالى، فعن الإمام الرضا عليه السلام: «**من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عزَّ وجلَّ**»[٢].

إذا كان الإسلام العزيز أراد منّا أن نُعزّز العلاقة والمحبّة فيما بيننا عبر أداء واجب الشكر والثناء للمخلوقين عباد اللّه تعالى على إكرامهم لنا، فكيف إذا كان المنعم والمكرم هو ربّ العالمين وخالق الكون وهو اللّه جلّ جلاله، الّذي تعجز الخلائق عن إحصاء نعمه عليهم، فضلاً عن عجزهم عن الثناء والحمد عليها؟

وهذا الإمام زين العابدين عليه السلام يُعرّفنا بهذه الحقيقة في مناجاة الشاكرين: «**إلهي أذهلني عن إقامة شُكرك تتابع طولك، وأعجزني عن إحصاء ثنائك فيض فضلك، وشغلني عن ذكر محامدك ترادف عوائدك... فآلاؤك جمّة، ضَعُف لساني عن إحصائها، ونعماؤك كثيرة قصر فهمي عن إدراكها، فضلاً عن استقصائها**»[٣].

(١) الخصال، الشيخ الصدوق، ص ٥٦٨، ح ١.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج١، ص ٢٧، ح ٢.

(٣) مفاتيح الجنان، الصحيفة السجّاديّة.

فهل سألنا أنفسنا ما هو مقدار شكرنا وثنائنا أمام عظيم نعمه وفضله تبارك وتعالى؟

يُجيبنا الإمام عليه السلام: «**إلهي، تصاغر عند تعاظم آلائك شكري، وتضاءل في جنب إكرامك إيايّ ثنائي ونشري**».

فبالرغم من شكرنا وثنائنا وحمدنا فلا بدَّ أن نعترف بصغر ذلك، وأن نعترف بتقصيرنا وإهمالنا في شكر الله تعالى على عظيم نعمه: «**وهذا مقام من اعترف بسبوغ النعماء وقابلها بالتقصير، وشهد على نفسه بالإهمال والتضييع**». بل لا بدَّ أن نسأل أنفسنا مجدّداً:

أليس شكرنا لله تعالى يحتاج إلى شكره على نعمة التوفيق والقدرة الّتي وهبنا إيّاها للقيام بواجب الشكر له؟

فسيّد الساجدين عليه السلام يُرشدنا – أيضاً – إلى هذه الحقيقة: «**فكيف لي بتحصيل الشكر، وشُكري إيّاك يفتقر إلى شكر؟! فكلّما قلت: لك الحمد وجب عليّ لذلك أن أقول: لك الحمد**»[1]. وهذا ما أسماه أمير المؤمنين عليه السلام شكر الشكر في قوله: «**من شكر الله سبحانه وجب عليه شُكر ثانٍ، إذ وفّقه لشكره، وهو شُكر الشكر**»[2].

ولكن بأيّ لسان نشكر الله سبحانه؟! «**أفبلساني هذا الكالّ أشكرك..؟**».

الله جلَّ جلاله غفور شكور:

من أسماء الله الحسنى الغافر والشاكر والمحسن لمن آمن به وشكر نعمه، الّتي هي في الحقيقة إحسانه إلى عباده. جاء في محكم كتابه العزيز قوله: ﴿**ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ**

---

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج٩١، ص١٤٦.

(٢) ميزان الحكمة، الريشهري، ج٢، ص١٤٨٧، ح١.

حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[١]، وقوله: **﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾**[٢].

جلّ ثناؤه فقد عدّ الأعمال الصالحة إحساناً من العبد إليه، فجازاه بالشكر والإحسان، وهو إحسان على إحسان، وهو القائل: **﴿هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾**[٣].

ولهذا يعتبر السيّد الطباطبائيّ - في تفسير الميزان - إطلاق (مسمّى الشاكر) عليه تعالى أنّ المراد منه حقيقة معنى كلمة (الشاكر) لا المعنى المجازيّ[٤].

لذا نقرأ في الدعاء: «**يا خير ذاكر ومذكور، يا خير شاكر ومشكور**»[٥].

كيف هي حقيقة شكرنا لله تعالى؟

إنّ شكر اللّه تعالى حقّ شكره على عظيم نعمه وخيره لا تكون فقط بتحريك اللسان، بل حقيقة الشكر للّه سبحانه تنبع من علم العبد، الفقير في كلّ شيء، بأنّه بحاجة مستمرّة لتوالي النعم عليه من الغنيّ في كلّ شيء، وأن يقطع قطع اليقين بأنّ كلّ ما يتقوّم به هذا العبد الفقير من مقوّمات الحياة: المأكل والمشرب والملبس، قيامه وقعوده، نومه واستيقاظه.. إلخ، هي من مالك السموات والأرضين ربِّ العالمين.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**أوحى الله تعالى إلى موسى** عليه السلام: **يا موسى اشكرني حقّ شكري.**

فقال عليه السلام: «**يا ربّ كيف أشكرك حقّ شكرك، وليس من شكر أشكرك به إلا وأنت أنعمت به عليّ**»؟!

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٣٤.

(٣) سورة الرحمن، الآية: ٦٠.

(٤) تفسير الميزان، ج ١، ص ٣٨٦.

(٥) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٩١، ص ٣٩٦.

فقال (عزَّ وجلَّ): يا موسى شكرتني حقّ شكري حين علمت أنّ ذلك منّي»[(١)].

وعنه عليه السلام: «**من أنعم الله عليه بنعمة فعرفها بقلبه، فقد أدّى شكرها**»[(٢)].

كما أنّه لا بُدَّ أن يعلم هذا العبد الفقير أنّ تمام الشكر لا بُدَّ أن يقترن بالاعتراف بالتقصير والعجز في القدرة على بلوغ أدنى درجات الشكر لله سبحانه، والعجز حتّى عن الثناء عليه برغم غناه عن شكرنا وثنائنا، قال الإمام الصادق عليه السلام: «**تمام الشكر اعتراف لسان السرّ خاضعاً لله تعالى بالعجز عن بلوغ أدنى شكره، لأنّ التوفيق للشكر نعمة حادثة يجب الشكر عليها**»[(٣)].

هذا كلّه في جانب المعرفة القلبية، أمّا في جانب الممارسة العملية لكي يكون العبد شكوراً لله تعالى، ولكي لا يُبتلى ببلاء النفاق؛ فإنّه لا بدَّ أن يترجم شكره عملياً ويظهره في سلوكه من خلال تجنّب محارم الله، وعدم اقتراف المعاصي والذنوب، قال الإمام علي عليه السلام: «**شُكر المؤمن يظهر في عمله، وشُكر المنافق لا يتجاوز لسانه**»[(٤)].

وعنه عليه السلام: «**شُكر كلِّ نعمة الورع عن محارم الله**»[(٥)].

وإذا أراد الإنسان أن يعصي الله تعالى ـ والعياذ بالله ـ فبماذا يعصي؟ وكيف له أن يجترئ على المولى عزَّ وجلَّ بذلك؟

فإنّ كلّ الأدوات والوسائل الّتي يُريد أن يعصي بها الإنسان ربّه هي من نعم الله سبحانه، فإن عصى بلسانه أو بيده أو بنظره أو بسمعه أو بأيّ جارحة من جوارحه فكلّ الجوارح هي نعم الله عليه، وهذا ما نبّهنا عليه أمير المؤمنين عليه السلام حينما قال: «**أقلّ ما يلزمكم لله ألا تستعينوا بنعمه على معاصيه**»[(٦)].

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي، ص ١٦٤، ح ١٧٨.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٩٦، ح ١٥.

(٣) بحار الأنوار، للعلّامة المجسليّ، ج ٦٨، ص ٥٢، ح ٧٧.

(٤) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ٢، ص ١٤٨٨، ح ٢.

(٥) مشكاة الأنوار، علي الطبرسي، ص ٧٧.

(٦) نهج البلاغة، الحكمة ٣٣٠.

ولـذا رسم لنـا الإمام علـيّ عليه السلام منهجـاً متدرّجاً وواضحـاً لكي لا نخسـر منزلة الشاكرين للّه تعالى، حيث قال عليه السلام :

«**حقّ على من أُنعم عليه أن يُحسن مكافأة المنعِم.**

فإن قصّر عن ذلك وِسْعَه فعليه أن يُحسن الثناء.

فإنّ كَلَّ عن ذلك لسانه فعليه بمعرفة النعمة ومحبّة المنعِم بها.

فإن قصّر عن ذلك فليس للنعمة بأهل»[١].

من آثار شُكر المنعِم:

هنـاك العديد من الآثار الحسنة الّتي تنعكس خيراً علـى الإنسان جرّاء أدائه واجب شُكر المنعِم والمفضِل عليه وهو اللّه عزَّ وجلَّ، وهذه الآثار الحسنة لا تقتصر على الدنيا فقط، بل تشمل حتّى الأخرى. ومن تلك الآثار الحسنة ما يلي:

١- الزيادة في النعمة والسعة في الرزق، قال تعالى: ﴿.. **لَئِن شَـكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَـدِيدٌ**﴾[٢]. وورد عن الإمام الصادق عليه السلام : «**ما أنعم اللّه على عبد من نعمة فعرفها بقلبه، وحمد اللّه ظاهراً بلسانه فتمّ كلامه، حتّى يؤمر له بالمزيد**»[٣].

وعن الإمام عليّ عليه السلام : «**من أُعطي الشكر لم يُحرَم الزيادة**»[٤].

ولـذا فإنّ المزيد من عطاء اللّه وجـوده وكرمه على الإنسان لا ينقطع، إلا إذا انقطع الشكر، كما يقول الإمام الباقر عليه السلام : «**لا ينقطع المزيد من اللّه حتّى ينقطع الشكر**

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٥٠١، ح ٤.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٩٥، ح ٩.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ١٣٥.

على العباد»[١]، ولهذا يجب أن لا نعيش حالة العجز والإهمال في شكر الله تعالى، ثمّ نبتغي الزيادة في النعم والخير من الله، وهذا ما أشار له الإمام عليّ عليه السلام حينما يقول: «**لا تكن ممّن يعجز عن شكر ما أُوتي، ويبتغي الزيادة فيما بقي**»[٢].

٢- القطع بأنّ كلّ النعم والخير النازل علينا هي من الله وحده، يوجب الرحمة والمغفرة الإلهية على الإنسان قبل أن نبادر بالشكر والحمد والثناء عليه تبارك وتعالى، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فعرف أنّها من عند الله، إلّا غفر الله له قبل أن يحمده**»[٣].

٣- نفي العذاب الإلهيّ عن الشاكر لله على نعمه والمؤمن بفضله وكرمه، إذ ورد في الآية الكريمة: ﴿**مَّا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللهُ شَاكِرًا عَلِيمًا**﴾[٤]، بل الشاكر مأمون من غضب الله وحلول النقم، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**شُكر النعمة أمان من حلول النقمة**»[٥].

٤- إنّ الله غنيّ كلّ الغنى عن شكرنا وحمدنا وثنائنا له، بالتالي حتّى هذا الأمر أراده لنا عزَّ وجلَّ نعمة علينا؛ فالشاكر يشكر لنفسه واقعاً، كما جاء في الآية الكريمة: ﴿**وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**﴾[٦]، وفي الآية: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾[٧].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**الطاعم الشاكر له من الأجر**

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ٢، ص ١٤٨٧.
(٢) نهج البلاغة، حكمة، ١٥.
(٣) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٤٢٧، ح ٨.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٤٧.
(٥) ميزان الحكمة، الريشهري، ج٢، ص ١٤٨٤.
(٦) سورة النمل، الآية: ٤٠.
(٧) سورة لقمان، الآية: ١٢.

كأجر الصائم المحتَسِب، والمعافى الشاكر له من الأجر كأجر المبتلَى الصابر، والمعطي الشاكر له من الأجر كأجر المحروم القانع»[١].

٥- يتّصف الإنسان الشاكر للّه بالقناعة والإيمان بالعدل الإلهيّ في توزيع النعم طبقاً لما تقتضيه المصلحة الإلهية، قال الإمام عليّ عليه السلام : «**أَشكر الناس أقنعهم، وأَكفرهم للنعم أجشعهم**»[٢]، بل ينال الشاكر للّه درجة أكرم الناس، فعن الإمام الصادق عليه السلام - لمّا سئل عن أكرم الخلق على اللّه - قال: «**من إذا أُعطي شكر، وإذا ابتُلي صبر**»[٣].

أما في المقابل فإنّ عدم الشكر يجعل الإنسان متّصفاً بالجشع واللؤم وعدم القناعة بما يُنعم به اللّه عليه، فعن الإمام الحسن عليه السلام : «**اللؤم أن لا تشكر النعمة**»[٤].

٦- إنّ الشاكر للّه تعالى يفوز بنعمة ذكر اللّه له، وما أعظمها من نعمة، وهنيئاً لمن يفوز بهذه النعمة الموعودة في قوله تعالى: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ**﴾[٥].

فعن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم : «**فإنّه تعالى أخبر عن نفسه فقال: أنا جليس من ذكرني**»[٦]، وعن الإمام الصادق عليه السلام : **قال اللّه تعالى: «ابن آدم اذكرني في نفسك أذكرك في نفسي، ابن آدم اذكرني في خلاء أذكرك في خلاء، أذكرني في ملأ أذكرك في ملأ خير من ملائك»**[٧].

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال اللّه سبحانه: «**إذا عَلِمتُ أنّ الغالب على عبدي الاشتغال بي**

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٩٤، ح ١.

(٢) الإرشاد، ج ١، ص ٣٠٤

(٣) التمحيص، الإسكافي، ص ٦٨، ح ١٦٣.

(٤) تحف العقول، الحراني، ص ٢٣٣.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

(٦) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٩٠، ص ١٦٣.

(٧) المحاسن، البرقي، ج ١، ص ٣٩، ح ٤٤.

نقلت شهوته في مسالّتي ومناجاتي، فإن كان عبدي كذلك وأراد أن يسهو حُلْت بينه وبين أن يسهو»[١].

وعنه ﷺ قال تعالى: «**فاذكروني أذكركم بنعمتي، اذكروني بالطاعة أذكركم بالنعم والإحسان والراحة والرضوان»**[٢].

ولهذا لا بُدَّ للمؤمن أن يكون شاكراً وذاكراً لله تعالى في كلّ الأحوال والظروف الحسنة منها أو السيّئة؛ لأنّ لطف الله غير بعيد في كلّ هذا، فعن رسول الله ﷺ: كان يقول إذا ورد عليه أمر يسرّه: «**الحمد لله على هذه النعمة. وإذا ورد عليه أمر يغتمّ به قال: الحمد لله على كلّ حال»**[٣].

ومن هذا المبدأ فإنّه لا بدَّ أن يكون شعار المؤمن الشكر دائماً وأبداً، وهذا ما يؤيّده قوله تعالى: ﴿**بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنْ الشَّاكِرِينَ**﴾[٤].

عاقبة عدم شُكر النعمة:

إنّ تكبُّر الفرد أو المجتمع على النِّعم الإلهيّة وعدم شُكر المنعِم والثناء عليه، يؤدّي إلى ترتُّب عواقب وخيمة وآثار سيّئة جداً على الجميع، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ الله عزَّ وجلَّ أنعم على قوم بالمواهب فلم يشكروا فصارت عليهم وبالاً، وابتلى قوماً بالمصائب فصبروا فصارت عليهم نعمة»**[٥].

وعن الإمام الجواد عليه السلام: «**نعمة لا تُشكر كسيّئة لا تُغفر»**[٦].

ونحن في عالم تتوالى النعم الإلهيّة عليه في الليل والنهار، في الحرب والسلم، في

---

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٩٠، ص ١٦٢.

(٢) م. ن، ص ١٦٣.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٩٧، ح ١٩.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٦٦.

(٥) أمالي الصدوق، ص ٣٧٩، ح ٤.

(٦) أعلام الدين، الديلمي، ص ٣٠٩.

الشـدّة والرخاء، في المرض والعافية.. وغيرها، وكأنّنا لم نقرأ قوله تعالى: **﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾**(١).

وقوله تعالى: **﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾**(٢).

وقوله سبحانه: **﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾** **﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾**(٣).

هل هكذا جزاء الإحسان والنِّعم؟!

هل هكذا يُكرم المكرِم؟!

هل هكذا يُردُّ الجميل بأجمله؟!

هل هكذا يُثنى على المعطي؟!

هل هكذا يُشكر المنعِم؟!

لعلّه تصعب علينا الإجابة!

ولكن هلمّوا لنستمع إلى وصية الأمير عليه السلام لنا:

«أوصيكم بتقوى الله... فما أقلُّ مَن قَبِلَها، وحملها حقّ حملها! أولئك الأقلّون عدداً، وهم أهل صفة الله سبحانه إذ يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾»(٤).

---

(١) سورة غافر، الآية: ٦١.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٠.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ١٩١.

سجدة الشكر:

إنّ من أكثر حالات القرب المعنوي من الله تعالى وأعظمها ـ كما يُروى ـ حينما يضع العبد خدّه على التراب ساجداً لله باكياً راجياً جزيل فضله ورحمته، يقول الإمام الباقر عليه السلام: «**أقرب ما يكون العبد من الربّ عزّ وجلّ وهو ساجدٌ باكٍ**»[١].

هذا وقد أجمع العلماء على استحباب السجود لله تعالى عند تجدُّد النعم أو عند دفع البلاء، والأفضل من هذه السجدة ما كان بعد الصلاة شُكراً لتوفيق الله تعالى لأدائها. رويَ عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**إنّ علي بن الحسين عليه السلام ما ذكر لله عزَّ وجلَّ نعمة عليه إلّا سجد، ولا قرأ آية من كتاب الله عزَّ وجلَّ فيها سجود إلّا سجد، ولا دفع الله عزَّ وجلَّ عنه سوءاً يخشاه إلّا سجد، ولا فرغ من صلاة مفروضة إلّا سجد، ولا وفّق لإصلاح بين اثنين إلّا سجد**»[٢].

ولذا سُمّي الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام بـ (السجّاد) لكثرة سجوده في جميع المواضع، واتّخذ الله تعالى ـ كما يقول الإمام الصادق عليه السلام ـ إبراهيم خليلاً، لكثرة سجوده على الأرض.

وعن الإمام الصادق عليه السلام – أيضاً – قال: «**إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان في سفر يسير على ناقة له، إذ نزل فسجد خمس سجدات، فلمّا أن ركب قالوا: يا رسول الله إنا رأيناك صنعت شيئاً لم تصنعه.**

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: نعم، استقبلني جبرائيل عليه السلام فبشّرني ببشارات من الله عزَّ وجلَّ، فسجدت لله شكراً لكلّ بُشرى سجدة»[٣].

كما أنّه لا يُستحبّ فقط السجود لله شكراً وحمداً عند تجدُّد النعم أو عند دفع البلاء،

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٤٨٣، ح ٢٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ٣، ص ٣٠٤.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٩٨.

بـل يُستحب هـذا حتّى عند ـ أو بمجرّد – تذكّرهما[١]، فقـد روى هشام بن أحمر قائلاً: «**كنـت أسيـر مع أبي الحسن عليه السلام في بعض أطـراف المدينة إذ ثنّى رجله عن دابته فخرّ ساجداً، فأطال وأطال، ثمّ رفع رأسه وركب دابته.**

فقلت: جُعلت فداك قد أطلت السجود!

فقال عليه السلام: إنّني ذكرت نعمة أنعم الله بها عليّ فأحببت أن أشكر ربّي»[٢].

ولهـذا أوصانا الإمـام الصادق عليه السلام بذلك عندما قال: «**إذا ذكـر أحدكم نعمة الله عـزَّ وجـلَّ فليضع خدّه على التراب شُكـراً لله، فإن كان راكباً فلينزل فليضع خدّه على التـراب، وإن لـم يكـن يقدر على النـزول للشهرة فليضـع خدّه على قربوسـه، وإن لم يقدر فليضع خدّه على كفّه، ثمّ ليحمد الله على ما أنعم الله عليه**»[٣].

أمّـا منزلة الساجد لله شُكراً فهي منزلة عظيمة، ولا يعلم بجزيل أجر الشكر وثوابه إلّا الله سبحانه، ففي الخبر قال الإمام الصادق عليه السلام: «..**إنّ العبد إذا صلّى ثمّ سجد سجدة الشكر فتح الربّ تعالى الحجاب بين العبد وبين الملائكة.**

فيقول: يا ملائكتي انظروا إلى عبدي أدّى فرضي وأتمّ عهدي ثمّ سجد لي شُكراً على ما أنعمت به عليه. ملائكتي ماذا قال؟

فتقول الملائكة: يا ربّنا رحمتك.

ثمّ يقول الربّ تعالى وتبارك: ماذا له؟

فتقول الملائكة: يا ربّنا جنّتك؟

فيقول الربّ تبارك وتعالى: ماذا؟

---

(١) تحرير الوسيلة، ج١، ح ٨، ص ١٦١.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٩٨.

(٣) م.ن.

فتقول الملائكة: يا ربّنا كفاية مهمّة،

فيقول الربّ تبارك وتعالى: ماذا؟

قال عليه السلام: فلا يبقى شيء من الخير إلا قالته الملائكة،

فيقول الله تبارك وتعالى: يا ملائكتي ثمّ ماذا له؟

فتقول الملائكة: يا ربّنا لا علم لنا.

قال عليه السلام: فيقول الله تبارك وتعالى: أشكر له كما شكر لي، وأُقبِل إليه بفضلي، وأُرِه رحمتي العظيمة في يوم القيامة»[1].



المفاهيم الأساس

١. التوفيق لشُكر المنعِم هي نعمة عظيمة أنعمها الله سبحانه على الإنسان المؤمن، لكي يكون ذاكراً لله تعالى في كلِّ الأحوال والظروف الحسنة منها أو السيّئة.

٢. إنّ شُكر المنعِم لا يكون فقط بالمعرفة القلبيّة، بل لا بُدَّ أن يتعدَّى ذلك إلى المستوى السلوكيّ لدى الإنسان المؤمن؛ أي تجنُّب معصية الله تعالى.

٣. إنّ شُكر المنعِم له آثار عظيمة في الدنيا (كالزيادة في الرزق)، وفي الآخرة (كالنجاة من عذاب الله). أمّا عدم الشكر فله عواقب وخيمة منها حلول النقمة الإلهيّة على الإنسان.

(١) الوسائل، الحر العامليّ، ج ٤، ص ١٠٧١.



للمطالعة:

كيفيّة سجدة الشكر:

١. يكفــي في هــذا السجود مجرّد وضــع الجبهة على الأرضـ مع النيّة، والأحــوط استحبابــاً فيــه وضع المساجــد السبعة، ووضــع ما يصحّ السجود عليه، نعم يُعتبر أن لا يكون ملبوساً أو مأكولاً.

٢. يُستحــبّ فيه افتراش الذراعين، وإلصــاق الصدر والبطن بالأرض، ولا يُشتــرط فيه الذكر، ويُستحــب أن يقول: (شُكــراً للّه) أو (شُكراً شُكراً) مئة مرّة، ويكفي ثلاث مرّات، بل مرّة واحدة.

وأحسن ما يُقال فيه ما ورد عن مولانا الإمام الكاظم عليه السلام: «قل وأنت ساجد:

«اللّهــم إنّي أُشهدك وأُشهــد ملائكتك وأنبياءك ورسلك وجميع خلقك أنّك اللّه ربّي والإســلام دينــي ومحمد نبيّــي وعليّاً وفلاناً وفلانــاً إلى آخرهم أئمّتي بهــم أتولّى ومن عدوِّهــم أتبرّأ، اللّهم إنّي أُنشدك دم المظلوم - ثلاثاً - اللّهم إنّي أنشدك بإيوائك على نفســك لأوليائك لتظفرنّهم بعدوك وعدوّهــم أن تصلّي على محمّد وعلى المستحفظين من آل محمّد اللّهم إنّي أسألك اليُسر بعد العُسر» ثلاثاً،

ثــمّ تضع خــدّك الأيمن على الأرض وتقول: «يا كهفي حيــن تُعييني المذاهب وتضيق عليّ الأرض بما رحبت ويا بارئ خلقي رحمة بي وقد كان عن خلقي غنيّاً صلّ على محمّد وعلى المستحفظين من آل محمّد».

ثــمّ تضع خدّك الأيسر وتقول: «يا مــذلّ كلّ جبّار ويا معزّ كلّ ذليل قد وعزّتك بلغ بي مجهودي» ثلاثاً، ثمّ تقول : «يا حنّان يا منّان يا كاشف الكُرب العظام» ثلاثاً.

ثـمّ تعود للسجـود فتقول مائة مـرة: «**شُكـراً شُكراً**» ثـمّ تسأل حاجتـك إن شاء اللّٰه تعالى»[١].

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٣، ص ٣٢٥.

أعمارنا مهر سعادتنا

من دعاء أبي حمزة الثماليّ:

«يا خير من سُئِل وأجود من أعطى أعطني سؤلي في نفسي وأهلي ووالدي وولدي وأهل حُزانتي وإخواني فيك، وأَرغِد عيشي وأَظْهِر مروّتي، وأصلح جميع أحوالي، واجعلني ممّن أطلت عمره، وحسّنت عمله، وأتممت عليه نعمتك، ورضيت عنه، وأحييته حياة طيّبة في أدوم السرور وأسبغ الكرامة، وأتمّ العيش، إنّك تفعل ما تشاء ولا يفعل ما يشاء غيرك».

تمهيد:

يُعتبــر احترام العمر واستغلال الوقت في طاعة الله تعالى من الأهداف السامية في الرؤيــة الإسلامية، بل العمر حقيقة هو الكنز العظيم والرأسمال الثمين الّذي يملكه كلّ إنســان منّا، والتفريط فيه خسارة كبرى لا تُعوّض أبداً، قال الإمام عليّ عليه السلام: «**المرء ابن ساعته**»[١]، وعنه عليه السلام: «**ما انقصت ساعة من دهرك إلا بقطعة من عمرك**»[٢].

ولذا فإنّ الإنسان يوم القيامة مُحاسب على هذه النعمة، وسوف يُسأل عن كلّ دقيقة وساعــة من عمره، أين قضاها؟ وفي ماذا قضاها؟ قضاها في الخير وطاعة الله تعالى أم في السوء ومعصية الله؟!

قــال تعالــى: ﴿**وَاللهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُــمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَــعُ إِلَّا بِعِلْمِــهِ وَمَــا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُــ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَــابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ**﴾[٣].

بل الله تعالى يحتجّ علينا يوم القيامة بأعمارنا، يوم لا ينفع الندم والبكاء والحسرة، قال تعالى: ﴿**وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ..**﴾[٤].

فيأتينا الجواب الإلهيّ: ﴿**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ**﴾[٥].

---

(١) ميزان الحكمة، محمدي الريشهري، ج ٣، ص ٢١١٢.

(٢) عيون الحكم والمواعظ، الواسطي، ص ٤٧٧.

(٣) سورة فاطر، الآية: ١١.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٣٧.

(٥) سورة فاطر، الآية: ٣٧.

وهـذا أمير المؤمنين عليه السلام ينبِّهنا من مصير الشقاء نتيجة الغفلة عن نعمة العمر، ويُخاطبنـا بقولـه: «**فيـا لها حسرة علـى كلّ ذي غفلـة أن يكون عمره عليـه حجّة، وأن تؤدّيه أيّامه إلى الشقوة!**»[١].

وفعـلاً نحن لـو عرفنا حقيقة قيمة العمر والوقت كيـف يُستثمران في أقصى حالاته الممكنـة، ولو ابتعدنا في المقابل عن الإسـراف والتبذير فيهما، لما حصل هذا التأخّر والتخلّف الكبيران اللذان تعيشهما الأمّة الإسلاميّة اليوم.

كيف نغتنم نعمة العمر؟

بداية لا بُدَّ أن ندرك أنّه لا فرق بين العمر والوقت، بل هما في الواقع حقيقة واحدة، يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**إنّ عمرك وقتك الّذي أنت فيه**»[٢].

بالتالـي لا بُـدَّ للإنسان المؤمـن أن يغتنم فرصة العمـر والوقت جيّـداً، لأنّ كلّ يوم يمضـي مـن حياتنا يُحذف من رصيـد أعمارنا المحدودة، قال أميـر المؤمنين عليه السلام: «**إنّه لن يستقبل أحدكم يوماً من عمره إلّا بفراق آخر من أجله**»[٣].

وعنـه عليه السلام: «**إنّ الليل والنهار يعمـلان فيك فاعمل فيهمـا، ويأخذان منك فخذ منهما**»[٤].

وعنه عليه السلام ـ أيضاً ـ: «**ما أسرع الساعات في اليوم، وأسرع الأيام في الشهر، وأسرع الشهور في السنة، وأسرع السنين (السنة) في العمر!**»[٥].

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**كن على عمرك أشحّ منك على درهمك ودينارك**»[٦].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٦٤.

(٢) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢١١٢.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٤٥.

(٤) ميزان الحكمة، محمدي الريشهري، ج ٧، ص ١٣٧.

(٥) نهج البلاغة: الخطبة ١٨٨.

(٦) مكارم الأخلاق، ص ٤٦٠.

ويوصينا ﷺ بأن نبادر بأربع قبل أربع :

«**بشبابك قبل هرمك،**

وصحّتك قبل سقمك،

وغناك قبل فقرك،

وحياتك قبل مماتك»[١] .

فالمطلـوب منّا أن نتطلّع إلى المستقبل وإلى ما نحن مقبلون عليه، وأن لا ننشغل في مـا مضى وفات، ونُضيّع بقيّة أعمارنا فيه، قـال الإمام عليّ عليه السلام : «**الاشتغال بالفائت يُضيِّع الوقت**»[٢] ، وقال رسول الله ﷺ : «**من أحسن فيما بقي من عمره لم يؤاخذ بما مضى من ذنبه، ومن أساء فيما بقي من عمره أُخِذ بالأوّل والآخر**»[٣] .

ولا بُـدَّ أن نُصـدِّق أنّ ما فـات لا يعود أبداً، وهذا ما حذّرنـا منه الإمام عليّ عليه السلام : «**احذروا ضياع الأعمار فيما لا يبقى لكم، ففائتها لا يعود**»[٤] .

فالمهمّ هو الاشتغال واغتنام فرصة العمر وما تبقّى منه بالأمور الأساسيّة والملحّة، لا بالأمور الفرعيّة وغير الضروريّة كي لا نُضيِّع بهذا ما هو أهمّ كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام : «**من اشتغل بغير المهمِّ ضيّع الأهمّ**»[٥] .

بذلـك نكون قـد خطونا الخطوة الأولى في طريق الاغتنـام الصحيح والسليم لنعمة العمر وفرصة الوقت الّتي لا تُعوّض بأيّ ثمن.

---

(١) الخصال، ص ٢٣٩، ح ٨٥.

(٢) بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ١٨٠.

(٣) أمالي الصدوق، ص ٥٦، ح ٩.

(٤) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢١١٤.

(٥) م.ن، ص ٢١١٤.

ولنعِمَ ما قيل:

الدهر ساومني عمري فقلت له ما بعِتُ عمري الدنيا وما فيها
ثم اشتراه بتدريج بلا ثمن تبّت يدا صفقة قد خاب شاريها

فيمَ نغتنم أعمارنا ونستثمرها؟

إنّ أفضل الأمور التي لا بُدَّ أن نغتنم أعمارنا فيها ونستثمرها هي طاعة الله وعبادته، لأنّنا بذلك نكون قد حصّلنا مهر سعادتنا في الدنيا والآخرة كما يقول الأمير عليه السلام: «**إنّ عمرك مهر سعادتك إن أنفذته في طاعة ربّك**»[١].

بل في ذلك نجاتنا وفوزنا كما يقول الأمير عليه السلام: «**إنّ أوقاتك أجزاء عمرك، فلا تُنفد لك وقتاً إلّا فيما يُنجيك**»[٢].

فالفوز هو في الحياة الطيّبة كما وعدَنا المولى عزَّ وجلَّ في قوله: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾[٣].

ولذا فإنّ دعاء الإنسان بطول العمر لا بُدَّ أن يقترن بالعمل الحسن والصالح، وأن يُفنيه فيما يُرضي الله تعالى ويُقرِّبه منه، لكي يُتمّ الله سبحانه عليه نعمه ويحييه حياة طيّبة ويُسبغ عليه عيشاً كريماً، فالإمام زين العابدين عليه السلام -في دعاء أبي حمزة الثماليّ- يدعو: «**واجعلني ممن أطلت عمره، وحسّنت عمله، وأتممت عليه نعمتك، ورضيت عنه، وأحييته حياة طيّبة في أدوم السرور وأسبغ الكرامة وأتمّ العيش**»[٤].

ومن دعائه عليه السلام في مكارم الأخلاق: «**وعمّرني ما كان عمري بِذْلة في طاعتك، فإذا كان عمري مرتعاً للشيطان فاقبضني إليك**»[٥].

---

(١) غرر الحكم، ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢١١٤.

(٢) م. ن، ص ٢١١٤.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٤) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٩٥، ص ٩١.

(٥) الصحيفة السجادية، الدعاء ٢٠.

فنُلاحظ أنّ الإمام عليه السلام في نهاية الدعاء يُشير إلى مسألة في غاية الأهميّة، وهي أنّه إذا كان طول أعمارنا سيؤدّي بنا إلى أن تكون مرتعاً للشيطان، ثمّ البعد عن رضا اللّه عزَّ وجلَّ وطاعته، فالموت والفناء هو أرحم لنا. وهذا ما نبّهنا منه رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**طوبى لمن طال عمره وحَسُن عمله فحَسُن منقلبه إذ رضي عنه ربّه، وويل لمن طال عمره وساء عمله وساء منقلبه إذ سخط عليه ربّه**»(١).

وهذا ما كانت تدعو به السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام في المناجاة: «**اللّهمّ، بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفّني إذا كانت الوفاة خيراً لي**»(٢).

أرذل العمر!

قال تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿**وَاللّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**﴾(٣).

يقول السيّد الطباطبائيّ قدس سره في تفسير هذه الآية الكريمة:

كلمة (الأرذل) اسم تفضيل؛ أي من الرذالة وهي الرداءة والرذل الدون والرديء. والمراد بأرذل العمر بقرينة قوله: (لكي لا يعلم إلخ) سنّ الشيخوخة والهرم الّتي فيها انحطاط قوى الشعور، والإدراك العقليّ، وهي تختلف باختلاف الأمزجة وتبتدئ على الأغلب من عمر الخمس والسبعين.

والمعنى: ﴿وَاللّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾؛ أي الله تعالى خلق الناس ثمّ يتوفّاهم، فمنهم يتوفّاهم في عمر متوسّط، ومنهم. كما يقول تعالى.: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾؛ أي يتوفّاهم في سنّ الهرم والشيخوخة، حيث ينتهي إلى أن ﴿لاَ يَعْلَمَ

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٦٦، ص ٤٠٠، ح ٩٥.

(٢) م.ن، ج ٩١، ص ٢٢٥، ح ١.

(٣) سورة النحل، الآية: ٧٠.

بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ وذلك لضعف القوى الجسديّة والعقليّة لدى الإنسان[1].

الشاهد والحكمة الإلهيّة!

فلـو كانت حياتنا وموتنا وكـذا شعورنا وعلمنا بأيدينا، لكنّـا اخترنا الحياة والبقاء على الممات والفناء، واخترنا العلم والمعرفة على الجهل والنسيان.

ولكـنّ الله سبحانـه وتعالى قد أخفى عنّا مدّة أعمارنـا ومتى تنتهي، ولم يجعلها في أيدينا، وذلك لحكمة هو أرادها عزَّ وجلَّ. وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى مضمون هذه الحكمة الإلهيّة في حديث له مع أحد أصحابه، يقول عليه السلام فيها:

«تأمّـل الآن يـا مفضّـل ما ستر عـن الإنسان علمه مـن مدّة حياتـه، فإنّه لو عرف مقـدار عمـره وكان قصيـر العمر لـم يتهنّأ بالعيش مـع ترقّب المـوت وتوقّعه لوقت قـد عرفـه، بل كان يكون بمنزلة من قد فني ماله أو قارب الفناء، فقد استشعر الفقر والوجل من فناء ماله وخوف الفقر، على أنّ الّذي يدخل على الإنسان من فناء العمر أعظـم ممّـا يدخـل عليه مـن فناء المـال، لأنّ مـن يقلّ مالـه يأمـل أن يستخلف منه فيسكن إلى ذلك، ومن أيقن بفناء العمر استحكم عليه اليأس.

وإن كان طويـل العمر ثـمّ عرف ذلك وثق بالبقاء، وانهمك في اللذّات والمعاصي، وعمل على أنّه يبلغ من ذلك شهوته ثمّ يتوب في آخر عمره ...[2]

فـإن قلـت: وها هو الآن قد سُتِر عنه مقدار حياتـه وصار يترقّب الموت في كلّ ساعة يُقارف الفواحش وينتهك المحارم.

قلنا: إنّ وجه التدبير في هذا الباب هو الذي جرى عليه الأمر فيه، فإن كان الإنسان مع ذلك لا يرعوي ولا ينصرف عن المساوئ فإنّما ذلك من مرحه (مرح الرجل: اشتدّ فرحه ونشاطه حتى جاوز القدر، وتبختر واختال) ومن قساوة قلبه، لا من خطأ في التدبير.

---

(١) تفسير الميزان، ج١٢، ص٢٩٤.

(٢) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٣، ص ٨٣ – ٨٤.

فنستنتـج بشكل عام، أنّ الله تبارك وتعالى أراد لنـا أن نتدبّر ونعتبر جيّداً من نعمة مرحلة الشباب والقوّة الجسديّة والعقليّة، حيث يُمكننا أن نمارس الأعمال والأنشطة، إلا أنّ هذه المرحلة كما تسبقها مرحلة ضعف الطفولة وعدم الإدراك، أيضاً تعقبها مرحلة العجـز والشيخوخة، حيث تتحـوّل قوّة الشباب إلى ضعف كما قال تعالـى: ﴿**وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ**﴾[1].

وهنـا نعود ونستذكـر وصيّة الرسول الأعظـم ﷺ، حين دعانا إلـى أن نبادر بالجدّ والعمـل فـي شبابنـا قبل هرمنـا، وفي صحّتنـا قبل سقمنـا.. بل نعتبر ممّـا مضى من أعمارنـا، لكـي نستفيد منها في حاضرنا ومستقبلنا، ونكـون من المحافظين على نعمة العمر. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**لو اعتبرت بما أضعت من ماضي عمرك لحفظت ما بقي**»[2].

إضافـة إلـى أنّه لا بُـدَّ أن لا ننسى أن الأعمار بيـد الله سبحانه، وعلينـا أن نستثمر مرحلـة القوّة والنشـاط لنقوم بواجباتنـا ومسؤوليّاتنا بُما يرضـي الله تعالى قبل نفاذ العمر، قال رسول الله ﷺ: «**إنّ العمر محدود لن يتجاوز أحد ما قُدِّر له، فبادروا قبل نفاذ الأجل**»[3].

وعـن الإمام علي عليه السلام قال: «**رحم الله امرأً علم أنّ نفسـه خطاه إلى أجله، فبادر عمله وقصر أمله**»[4].

زيادة العمر والبرّ بالوالدين:

لقـد قرن المولى عزَّ وجلَّ عبادتـه وطاعته بالإحسان للوالدين وبرّهما، قال تعالى:

---

(١) سورة يس، الآية: ٦٨.

(٢) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ٣، ص ١٨١٠.

(٣) م.ن، ص ٢١١٢.

(٤) م.ن، ص ٢١١٣.

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾[١].

قال الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: «**الإحسان أن تُحسِن صحبتهما، وأن لا تُكلِّفهما أن يسألاك شيئاً ممّا يحتاجان إليه وإن كانا مستغنيين**»[٢]. كلّ ذلك لأنّهما جنّتنا ونارنا كما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لما سُئِل عن حقّ الوالدين على ولدهما: «**هما جنّتك ونارك**»[٣].

ومن بركات البرّ بالوالدين والإحسان إليهما الزيادة في العمر والبركة فيه، كما ورد في روايات أهل بيت النبوّة عليهم السلام، منها:

١- قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من سرّه أن يُمدّ له في عمره ويُزاد في رزقه فليبرّ والديه، وليصل رحمه**»[٤].

٢- وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**من برّ والديه طوبى له زاد الله في عمره**»[٥].

٣- عنه عليه السلام: «**إن أحببت أن يزيد الله في عمرك فسُرّ أبويك**»[٦].

٤- وقال الإمام الصادق عليه السلام لحنان بن سدير: «**يا ميسّر! قد حضر أجلك غير مرّة ولا مرّتين، كلّ ذلك يؤخّر الله أجلك لصلتك قرابتك، وإن كنت تريد أن يُزاد في عمرك فبرّ شيخيك، يعني أبويه**»[٧].

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ١٥٧.

(٣) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ٤، ص ٣٦٧٤.

(٤) م. ن.

(٥) م. ن.

(٦) وسائل الشيعة، الحر العامليّ، ج ١٨، ص ٣٧٢.

(٧) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٧١، ص ٨٤، ح ٩٦.

وصايا نورانيّة:

نتوقّف في هذا المقطع الأخير من حديثنا حول نعمة العمر وقدسيّته، مع وصايا أمير البلاغة والحكمة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، لعلّنا بذلك نأخذ منه قبساً مضيئاً نُنير به وعاء قلوبنا المظلمة بالذنوب والآثام والمعاصي:

١- قال عليه السلام: **«أيُّها الناس! الآن الآن من قبل الندم، ومن قبل أن تقول نفس: يا حسرتي على ما فرّطت في جنب الله»**[١].

٢- وعنه عليه السلام: **«أيُّها الناس! الآن الآن ما دام الوثاق مُطلقاً، والسراج مُنيراً، وباب التوبة مفتوحاً، من قبل أن يجفّ القلم وتُطوى الصحف»**[٢].

٣- وعنه عليه السلام: **«من أحبّ البقاء فليُعدّ للمصائب قلباً صبوراً»**[٣].



المفاهيم الأساس

١. إنّ من أعظم النعم الإلهيّة على الإنسان هي نِعمة العمر، الّتي تُعتبر جوهرة ثمينة ومقدّسة فلا يجوز التفريط فيها أبداً.

٢. إنّ استغلال أعمارنا وأوقاتنا واغتنامها بشكل جيّد، لا سيّما في طاعة الله وعبادته ينتج حصولنا على مهر سعادتنا وفوزنا بحياة طيّبة في الدنيا والآخرة.

٣. إنّ البرّ بالوالدين وصلة الرحم هما من أبواب الرحمة الإلهيّة علينا

---

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٧٤، ص ٣٧٥.

(٢) م. ن، ص ٣٧٦.

(٣) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ٢، ص ٨٩٧.

ولهما بركات عديدة منها الزيادة في أعمارنا.. فلندخل إلى الرحمة الإلهيّة من أبوابها.



للمطالعة:

قال رسول الرحمة ﷺ:

«**يُفتح للعبد يوم القيامة على كلّ يوم من أيام عمره أربعة وعشرون خزانة عدد ساعات الليل والنهار:**

فخزانة يجدها مملوءة نوراً وسروراً فيناله عند مشاهدتها من الفرح والسرور ما لو وزِّع على أهل النار لأدهشهم عن الإحساس بألم النار، وهي الساعة الّتي أطاع فيها ربّه.

ثمّ يُفتح له خزانة أخرى فيراها مُظلِمة مُنتِنة مُفزِعة فيناله عند مشاهدتها من الفزع والجزع ما لو قُسِّم على أهل الجنّة لنغّص عليهم نعيمها، وهي الساعة الّتي عصى فيها ربّه.

ثمّ يُفتح له خزانة أخرى فيراها فارغة ليس فيها ما يُسرّه ولا ما يسوؤه، وهي الساعة الّتي نام فيها أو اشتغل فيها بشيء من مباحات الدنيا، فيناله من الغبن والأسف على فواتها - حيث كان متمكّناً من أن يملأها حسنات - ما لا يوصف، ومن هذا قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾»[1].

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج٧، ص٢٦٢.

١٠

الاستعاذة بالله سبيل النجاة من الشيطان

من دعاء أبي حمزة الثماليّ:

«اللّهمّ إنّي أعوذ بك من الكسل والفشل، والهمّ والحزن، والجبن والبخل، والغفلة والقسوة، والذلّة والمسكنة، والفقر والفاقة، وكلّ بليّة والفواحش ما ظهر منها وما بطن. وأعوذ بك من نفس لا تقنع، وبطن لا يشبع، وقلب لا يخشع، ودعاء لا يُسمع، وعمل لا ينفع، وأعوذ بك يا ربّ على نفسي وديني ومالي وعلى جميع ما رزقتني من الشيطان الرجيم، إنّك أنت السميع العليم».

تمهيد:

لقد تحوّل إبليس من صفوف الجنّ العابدين للّه تعالى، ومن منزلة الملائكة المكرّمين الّتـي أعطاه اللّه تعالى إياها لحسن عبادته، إلـى منزلة الصاغرين والشياطين، وذلك بسبب استكباره ومنازعته لكبرياء اللّه العزيز الجبّار، وإصراره على رفض الأمر الإلهيّ بالسجود لآدم عليه السلام.

وقـد سرد لنا النصّ القرآني الحوار الذي جرى بيـن اللّه تعالى وإبليس، لكي نعتبر من عواقب تمرّد إبليس على الأوامر الإلهيّة. قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُـكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّـاغِرِينَ * قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾[1].

وهذا أمير المؤمنين عليه السلام يدعونا إلى التأمُّل والاعتبار من هذه القصّة: «**فاعتبروا بمـا كان من فعـل الله بإبليس، إذ أحبط عمله الطويل وجهده الجهيد الجميل، وكان قـد عبـد الله ستـة آلاف سنة، لا يُـدرى أمِن سنيّ الدنيـا أم مِن سنيّ الآخـرة عن كِبَر ساعة واحدة**»[2].

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

عداوة الشيطان للإنسان:

منــذ لحظة انتمــاء إبليس اللعين إلى عالــم الشياطين، أصبح عــدوّاً للإنسان وبدأ يتوعّــده بإغوائــه عن طاعة الله تعالى مــن جميع الجهات والأحوال: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[١].

بـل لم يكتفِ إبليس بهذا الوعيد فقط حتّى أنّه أقسم بربّ العزّة على إضلال الناس وغوايتهم، إذ قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ الشياطين أكثر على المؤمنين من الزنابير على اللحم**»[٢].

ولــذا فإنّ ربّ العزّة والجلال قــد حذّرنا مراراً في محكم كتابــه العزيز من وسوسة الشيطان ومكائده، قائلاً: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[٣]، وقائلاً: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾[٤].

بـل قد نهانــا المولى عزَّ وجلَّ عــن اتّباع الشيطان ومــا يزيّنه لنا من ملــذّات الدنيا وشهواتهــا؛ لأنّه عدوّنا وباتّباعه وتصديقه سوف يأمرنا بمعصية الله وارتكاب الفحشاء والمنكر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[٥]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾[٦].

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٦ ـ ١٧.

(٢) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج٦٤، ص٢٣٩، ح٥٧.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٦.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٥٣. فتح القدير، الشوكاني، ج٥، ص٢٧٨.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٠٨.

(٦) سورة النور، الآية: ٢١.

هــذا وقد دعانا الله تعالى إلى عبادته وحـده فقط، وأن لا نعبد الشيطان: ﴿**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾[١].

يروي الإمام عليّ عليه السلام: «**أنّ رجلاً كان يتعبّد في صومعة، وأنّ امرأة كان لها إخوة فعرض لها شيء فأتوه بها، فزيّنت له نفسه فوقع عليها، فجاءه الشيطان فقال: اقتلها فإنّهم إن ظهروا عليك افتضحت، فقتلها ودفنها، فجاؤوه فأخذوه فذهبوا به، فبينما هم يمشون إذ جاءه الشيطان فقال: إنّي أنا الّذي زيّنت لك فاسجد لي سجدة أُنجيك، فسجد له، فذلك قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾**»[٢].

كمـا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد نبّهنـا على ذلك، عندما قال: «**احـذروا عدوّاً نفذ فـي الصـدور خفيّـاً، ونفث في الآذان نجيّـاً**»[٣]. وكذلك ما نقرؤه فـي مناجاة الشاكين للإمـام زين العابدين عليه السلام: «**إلهي أشكو إليك عدوّاً يُضلّنـي، وشيطاناً يغويني، قد ملأ بالوسواس صدري، وأحاطت هواجسه بقلبي، يُعاضد لي الهوى، ويُزيّن لي حبّ الدنيا، ويحول بيني وبين الطاعة والزلفى**»[٤].

إلّا أنّـه بالرغم من تكرار التحذير الإلهيّ وإرشـادات أهل البيت عليهم السلام لنا وتنبيهنا مـن خطورة عداوة الشيطان، فـإنّ الله جلَّ جلاله قال في الكتاب العزيـز: ﴿**وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّـكُورُ**﴾[٥]، ما يعنـي أن أكثرنا عرضةٌ للسقوط في مكائـد الشيطان الرجيم، ومن ثمّ الانحراف عن الخطّ المستقيم، ونصبح من عداد المغضوب عليهم ومن الّذين قـد ضلّوا طريق الحقّ، مع أنّنا ندعو الله سبحانه في صلاتنا اليوميّة لهدايتنا للصراط المستقيم، ونستعين به عزَّ وجلَّ على ذلك: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْـتَعِينُ * اهدِنَـا الصِّرَاطَ**

(١) سورة يس، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الحشر، الآية: ١٦.

(٣) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ٢، ص ١٤٥١.

(٤) الصحيفة السجّاديّة، مناجاة الشاكين؛ بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٩١، ص ١٤٣.

(٥) سورة سبأ، الآية: ١٣.

المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾[١].

ولكنّ رحمة الله تعالى ولطفه بنا أكبر من مكائد الشيطان، قال تعالى: ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[٢]، وقال: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣].

والمؤمنون المخلصون لله تعالى لا سلطان للشيطان عليهم، كما يقول المولى تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[٤].

إلّا أنّه لا بدَّ أن نخاطب أنفسنا: من هؤلاء الذين يغويهم الشيطان ويتمكّن منهم؟ وكيف يكون له ذلك؟ هل لقوّة مكر الشيطان أم لضعف إيمان الإنسان؟ أم الأمرين معاً؟!

مكائد الشيطان وتسلّطه على الإنسان:

إنّ وسوسة الشيطان ومكائده لا تقتصر فقط على المشركين والمنافقين، بل نشاطه الشيطانيّ تجاه المؤمنين بالله تعالى أكثر من غيرهم، حيث بمجرّد أن يجد نقطة ضعف لديهم، فإنّه يستغلّ الفرص، ويأتي بحيل مختلفة، فيُلقي عليهم حبال مكائده ويُسوّل لهم، وما إن يستدرجهم إلى فخّ الإغواء حتّى يُملي عليهم ما يُريده. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾[٥]، وقال أيضاً: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ

(١) سورة الفاتحة، الآيات: ٥ ـ ٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٣.

(٣) سورة سبأ، الآية: ٢٠.

(٤) سورة النحل، الآية: ١٠٠.

(٥) سورة محمد، الآية: ٢٥.

وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[١]، **﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾**[٢].

ويقول الإمام عليّ عليه السلام: «**أُقسم بالله لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:**

إنّ الشيطان إذا حمل قوماً على الفواحش مثل الزنا وشرب الخمر والربا وما أشبه ذلك من الخنى والمأثم، حبّب إليهم العبادة الشديدة والخشوع والركوع والخضوع والسجود، ثمّ حملهم على ولاية الأئمة الذين يدعون إلى النار»[٣].

ومن صور مكائد الشيطان ووسوسته الخبيثة والماكرة، نذكر ما يلي:

١- إنّ أعظم عمل يقوم به المؤمن فينزعج منه الشيطان ويتفجّر غضباً، هو ذكر الله تعالى وطلب المغفرة منه؛ لأنّه فيه مطردة للشيطان كما يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**ذكر الله مطردة الشيطان**»[٤].

لذا فإنّ الشيطان وحزبه يضعون كلّ مكائدهم وحيلهم في سبيل منع ذكر الله تعالى، والاستحواذ على المؤمن وجعله يعيش حالة الغفلة والخسران. قال تعالى: **﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾**[٥].

أمّا الذين يذكرون الله تعالى ويستغفرونه، حتماً فإنّ المعادلة الإلهيّة معهم مختلفة تماماً، قال الله سبحانه: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾**[٦].

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**لمّا نزلت هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً...﴾**

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٠.

(٣) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج٧٤، ص٢٧٢.

(٤) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ٢، ص ٩٧١.

(٥) سورة المجادلة، الآية: ١٩.

(٦) سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٥ ـ ١٣٦.

صعد إبليس جبلاً بمكّة يُقال له: ثور، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه، فقالوا: يا سيّدنا لِمَ دعوتنا؟

قال: نزلت هذه الآية، فمن لها؟

فقام عفريت من الشياطين فقال: أنا لها بكذا وكذا،

قال: لست لها،

فقام آخر فقال مثل ذلك،

فقال: لست لها،

فقال الوسواس الخنّاس: أنا لها،

قال: بماذا؟

قال: أعدهم وأمنّيهم حتّى يواقعوا الخطيئة فإذا واقعوا الخطيئة أَنسيتُهم الاستغفار،

فقال: أنت لها فوكّله بها إلى يوم القيامة»[١].

لذا لا بُدَّ من المداومة على ذكر الله تعالى على كلّ حال، لكي لا نترك للشيطان وحزبه أيّ منفذ أو نقطة ضعف فينا فيستغلّها، قال الإمام الصادق عليه السلام: «**ما من شيء إلّا وله حدّ ينتهي إليه إلّا الذكر، فليس له حدّ ينتهي إليه، فرض الله عزَّ وجلَّ الفرائض فمن أدّاهنّ فهو حدّهنّ، وشهر رمضان فمن صامه فهو حدّه والحجّ فمن حجّ فهو حدّه، إلّا الذكر فإنّ الله عزَّ وجلَّ لم يرض منه بالقليل ولم يجعل له حدّاً ينتهي إليه، ثمّ تلا هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا﴾**»[٢].

---

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٦٦، ص ٣٤٨.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص٤٩٨، ح١.

٢- إغـراء الإنسان بارتكاب الذنـوب والمعاصي، وذلك عبر تزييـن الأعمال السيّئة على أنّها أعمال حسنة، كما قال تعالى: ﴿**أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا..**﴾.[١]

أو استصغـار الذنـوب واستحقارهـا، وتصويرهـا علـى أنّ القيـام بهـا لا يضرّ ولا يعجّـل العقاب الإلهيّ وسخطه، يـروي الإمام الكاظـم عليه السلام: «**إنّ المسيح عليه السلام قال للحواريّيـن: إنّ صغـار الذنوب ومحقّراتها من مكائد إبليس، يُحقّرها لكم ويُصغّرها في أعينكم فتجتمع وتكثر فتحيط بكم**».

يقول الإمام الصادق عليه السلام: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزل بأرض قرعاء فقال لأصحابه: ائتوا بحطب.

فقالوا: يا رسول الله نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب.

قـال: فليـأت كلّ إنسان بما قُـدِّر عليه، فجاءوا به حتى رمـوا بين يديه بعضه على بعض.

فقـال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هكـذا تجتمـع الذنـوب، ثـم قـال: إيّاكـم والمحقّـرات من الذنـوب، فـإنّ لـكلّ شيء طالبـاً، ألا وإنّ طالبها يكتب: ﴿مَا قَدَّمُـوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾.

ويروي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**بينما موسى عليه السلام جالساً إذ أقبل إبليس...**

قال موسى عليه السلام: فأخبرني بالذنب الّذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذتَ عليه؟

قال إبليس: إذا أعجَبته نفسه، واستكثر عمله، وصغُر في عينه ذنبه»[٢].

نُلاحـظ فـي الروايـة أنّ إبليس اللعيـن يتحدّث عن العُجـب، وهي مسألـة في غاية الخطـورة، لا سيّما أنّ الشيطـان لا يأتي المؤمن من جهة إغوائـه بالزنا أو السرقة وما

(١) سورة فاطر، الآية: ٨.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٣١٤، ح ٨.

شابـه ذلك، لأنّ الشيطان يُـدرك أنّ المؤمن يخاف الله سبحانـه ولا يُمكن ببساطة أن يعصـي الله فـي هكذا أمور، لـذا الشيطان يأتيه مـن باب آخر أكثـر حساسيّة بالنسبة للمؤمـن، وهو باب الإعجـاب بالنفس والإعجـاب بعبادته لله وطاعتـه، فضلاً عن حبّ الإطـراء والمديح، ويرى نفسه مستحقّاً للثناء ويمنّ على الله بأن يعطيه الأجر والثواب، اعتقاداً منه بأنّه أصبح في مقام المقرّبين لله وخاصّته.

وهذا ما حذّر منه أمير المؤمنين عليه السلام – في كتابه للأشتر – قائلاً: «**إيّاك والإعجاب بنفسك، والثقة بما يُعجبك منها، وحبّ الإطراء، فإنّ ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين**»[1].

وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما قال: «**أعدى عدوّك نفسك الّتي بين جنبيك**».

ولـذا لا ننسَ أن نردّد دوماً دعاء سيّد الساجدين عليه السلام: «**اللّهـمّ!... وأعوذ بك من نفس لا تقنع**»، لأنّ النفس والعياذ بالله كما يصفها القرآن: ﴿**.. إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[2].

٣– كمـا إنّ من مصائد الشيطان ومكائده، خداع الإنسان ودفعه نحو حضور مجالس اللّهـو والغنـاء، ومجالـس البطّالين، ومجالـس تضييع الوقت والعمـر بلا فائدة تُذكـر غير إحصاء عثرات الناس وكشـف عوراتهم، وما انتشار ظاهرة ما يُسمّى بـ(سهـرات الأرجيلـة) إلّا نموذجاً سيّئـاً جدّاً في أيّامنا هـذه، لا سيّما أنّه اعتاد عليهـا ـ للأسف الشديـد – المؤمنون والمؤمنات أكثر مـن غيرهم وبشكل واسع جدّاً ومستغرب، الأمـر الّذي يعكس صورة سلبيّة عن كيفيّة تمضية هؤلاء لأوقات راحتهم والترفيه عن أنفسهم، تلك الأوقات المقدّسة الّتي أرادها لنا الإسلام أن تكون متنفّساً لنا من ضغوط الحياة ومشقّاتها، وأن نستعيد فيها طاقتنا الإيمانيّة

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٨٦.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٥٣.

والجسديّة ونجدّدهما، لكي ننطلق مجدّداً من رحاب طاعة الله إلى رحاب طاعة الله.

هكذا أراد الإسلام من المؤمن، حتّى في وقت راحته أن يكون في طاعة الله، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما من ساعة تمرّ بابن آدم لم يُذكر الله فيها إلّا حسر عليها يوم القيامة**»(١).

دعونا نقرأ وصف أمير المؤمنين عليه السلام حقيقة هكذا مجالس، حينما يقول: «**مجالسة أهل الهوى منساة للإيمان ومحضرة للشيطان**»(٢)، وعنه عليه السلام قال: «**كلّ ما ألهى عن ذكر الله فهو من الميسر**»(٣).

ولعلّ هذه المجالس قد تكون مصداقاً للعمل الّذي يستعيذ منه الإمام زين العابدين عليه السلام بالله: «**اللّهم!... وأعوذ بك من عمل لا ينفع**».

إلّا أنّه كما قال هو عليه السلام أيضاً - في دعائه -: «**فلولا أنّ الشيطان يختدعهم عن طاعتك ما عصاك عاصٍ، ولولا أنّه صوّر لهم الباطل في مثال الحقّ ما ضلّ عن طريقك ضالّ**»(٤).

ويقول الإمام عليّ عليه السلام: «**الشيطان موكّل به - أي العبد - يُزيّن له المعصية ليركبها، ويُمنّيه التوبة ليسوّفها**»(٥).

٤- يدعو الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء أبي حمزة الثماليّ: «**اللّهم!.. وأعوذ بك من بطنٍ لا يشبع، ومن قلبٍ لا يخشع، ومن دعاء لا يُسمع**»، الأمر الّذي يجعلنا ندرك جيّداً أنّ من مكائد الشيطان حثّنا على كثرة الأكل والإفراط فيه،

(١) كنز العمال، ج١، ص ٤٢٤، ح ١٨١٩.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٨٦.

(٣) وسائل الشيعة، الحرّ العامليّ، ج ١٧، ص ٣١٦، ح ٢٢٦٤٠.

(٤) الصحيفة السجادية، الدعاء ٣٧.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة ١٣٨.

فضلاً عن كثرة النوم والفراغ.. لأنّ كلّ ذلك يؤدّي إلى فساد النفس وما يترتّب عليه من قسوة القلب وموته.

ولهذا، دعونا نستيقظ من الغفلة ونحيِ قلوبنا بإمعان بصائرنا في إرشادات أولياء الله تعالى ووصاياهم لنا.. نعم لنا يُوجّه الخطاب لا للجماد والحيوان.. خطاباً يُحذّرنا كلّ التحذير من مساوئ البطنة والشبع وما ينتج عنهما، فأمعنوا النظر فيها بعين القلب والتأمّل بعين العقل ولو قليلاً:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا تُميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فإنّ القلب يموت كالزرع إذا كثُر عليه الماء**»(١).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**جاهدوا أنفسكم بقلّة الطعام والشراب، تُظلّكم الملائكة ويفرّ عنكم الشيطان**»(٢).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ـ أيضاً ـ قال: «**لا تشبعوا فيُطفأ نور المعرفة من قلوبكم**»(٣).

وقال السيّد المسيح عليه السلام: «**يا بني إسرائيل، لا تُكثروا الأكل، فإنّه من أكثر الأكل أكثر النوم، ومن أكثر النوم أقلّ الصلاة، ومن أقلّ الصلاة كُتب من الغافلين**»(٤).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**ليس شيء أضرّ لقلب المؤمن من كثرة الأكل، وهي مورثة لشيئين: قسوة القلب، وهيجان الشهوة**»(٥).

وعنه عليه السلام ـ في حديث جرى بين النبيّ يحيى عليه السلام وإبليس ـ: «**فقال له يحيى عليه السلام: ما هذه المعاليق؟**

---

(١) ميزان الحكمة، ج ١، ص ٨٨٠.

(٢) م. ن، ص ٤٥٥.

(٣) مستدرك الوسائل، ج ١٦، ص ٢١٨، ح ١٩٦٤٦.

(٤) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ١، ص ٨٨.

(٥) مستدرك الوسائل، ج ١٢، ص ٩٤، ح ١٣٦١٥.

فقال إبليس: **هذه الشهوات الّتي أُصيب بها ابن آدم،**

فقال عليه السلام: **هل لي منها شيء؟**

فقال إبليس: **ربما شبعت فشغلناك عن الصلاة والذكر.**

قال عليه السلام: **لله عليّ أن لا أملأ بطني من طعام أبداً.**

وقال إبليس: **لله عليّ أن لا أنصح مسلماً أبداً..**

ثم قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «**لله على جعفر وآل جعفر أن لا يملأوا بطونهم من طعام أبداً، ولله على جعفر وآل جعفر أن لا يعملوا للدنيا أبداً**»[١].

ثم إنّه لا يجوز التبذير والإسراف في الطعام، لكي لا نكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا**﴾[٢].

لنسأل أنفسنا كم هو حجم فظاعة التبذير والإسراف على موائدنا؟ لا سيّما في شهر التدرّب على الاقتصاد والتدبير (لا التبذير، انتبه!) في شهر رمضان.. لا سيّما عندما يحلّ علينا مسؤول من هنا أو صاحب مكانة مرموقة في المجتمع من هناك!

حينها تقع المصيبة الكبرى، حين نشكو للّه تعالى سوء فقرنا وفاقتنا!

وكأنّنا لم نقرأ أو نسمع قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**التبذير عنوان الفاقة**»[٣].

وكأنّنا لم نُردّد في سَحَر ذلك الشهر الكريم، دعاء أبي حمزة الثماليّ: «**اللهمّ!.. إنّي أعوذ بك من الفقر والفاقة**».

نعم، لا بُدَّ أن نُدرك جيّداً أنّ هناك فرقاً بين أن نُنفق أموالنا فيما يُرضي اللّه تعالى كالإنفاق على الجهاد في سبيل اللّه تعالى وإعلاء كلمته، وبين الإنفاق على شيء في

---

(١) وسائل الشيعة، ج ٢٤، ص ٢٤١، ح ٣٠٤٣٨.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٧.

(٣) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ١٥، ص ٢٦٦، ح ١٨٢٠٣.

غيـر طاعة اللّه، كالإنفاق على إحياء ليلة رأس السنة الميلاديّة والاحتفاء بها بمختلف الوسائل من زينة ولباس سهرة ورقص وغناء وخمور وغيرها..

هـذا بـدل أن نجعل مـن رأس السنة محطّـة لإجراء جردة حساب فيمـا قدّمناه من طاعـة مزجـاة بين يـدي اللّه تعالى خلال عام مضـى من عمرنا المحـدود، فضلاً عن محاسبـة النفس على كلّ تقصير، واستغفاره مـن كلّ ذنب، وشكره في الوقت ذاته على توفيقنا إلى مرضاته عزَّ وجلَّ..

روي عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا**﴾:

«**مـن أنفـق شيئـاً فـي غير طاعة الله فهـو مبذِّر، ومـن أنفق في سبيـل الخير فهو مقتصد**»[١].

هل أنا من حزب اللّه أم من حزب الشيطان؟

منـذ تمرّد إبليس علـى الأوامر الإلهيّة، انقسم العالم إلى حزبين: حزب اللّه وحزب الشيطان.

أمّا حزب اللّه فهم أولئك السائرون على خطّ ولاية اللّه تعالى ورسوله وأهل البيت عليهم السلام، والمتمسّكون بنهجهم ومدرستهم، مدرسة القرب من اللّه سبحانه والتزام الطاعة وأداء التكليف الإلهيّ.. فرضيَ اللّه عنهم حينما قال: ﴿**رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[٢].

---

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٧٢، ص ٣٠٢.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

حـزب اللّه هم أولئك الّذين تحـدّث عنهم القرآن الكريم وبشّرهـم بالفوز والنصر والفلاح في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿**وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾[١].

وأمّـا حزب الشيطان فهم أولئك البائسون الخاسرون المذنبون التائهون في ظلمات الدنيا وملذّاتها الفانية.. قال تعالى: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾[٢].

حزب الشيطان هم أولئك الّذين: ﴿**اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[٣].

هل سألنا أنفسنا يوماً إلى أيّ الحزبين ننتمي؟!

هل ننتمي إلى حزب اللّه أم ننتمي إلى حزب الشيطان؟

وإذا أردنا الجواب القاطع والحاسم وغير الملتبس، علينا أن نعود إلى المنبع الطاهر والفكر الأصيل فكر محمّد وآل محمّد عليهم السلام، لنعرف نحن من أين وفي أين وإلى أين.

قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**من أحبّ أن يركب سفينة النجاة، ويستمسك بالعروة الوثقى، ويعتصم بحبل الله المتين، فليوالِ عليّاً بعدي، وليعاد عدوّه، وليأتمّ بالأئمّة الهداة من ولده، فإنّهم خلفائي وأوصيائي... حزبهم حزبي، وحزبي حزب الله عزّ وجلّ، وحزب أعدائهم حزب الشيطان**»[٤].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٦.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٦.

(٣) سورة المجادلة، الآية:١٩.

(٤) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٢٣، ص ١٤٤، ح ١٠٠.

ويقول وصيّ النبيّ الإمام عليّ عليه السلام: **«أيسرّك أن تكون من حزب الله الغالبين؟ اتّقِ الله سبحانه وأحسن في كلّ أمورك، فإنّ الله مع الّذين اتقوا والّذين هم محسنون»**[١].

وعنه عليه السلام: **«عليكم بالتمسّك بحبل الله وعروته، وكونوا من حزب الله ورسوله، والزموا عهد الله وميثاقه عليكم، فإنّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً»**[٢].

وعنه عليه السلام: **«طوبى لنفسٍ أدّت إلى ربّها فرضها... في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم، وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم، وهمهمت بذكر ربّهم شفاههم، وتقشّعت بطول استغفارهم ذنوبهم، أولئك حزب الله، ألا إنّ حزب الله هم المفلحون»**[٣].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - في جَلَد رجل ونشاطه، لمّا قال أصحابه فيه: لو كان هذا في سبيل الله - : **«إن كان خرج يسعى على وُلده صغاراً فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفّها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرةً فهو في سبيل الشيطان»**[٤].

إذاً عندما نعرف كلّ هذا، وكيف السبيل إلى خطّ حزب الله، نكون في الوقت عينه تجنّبنا خطّ حزب الشيطان. عندها تُحدّد هويّتنا الحقيقيّة، كما يقول الإمام الصادق عليه السلام: **«نحن وشيعتنا حزب الله، وحزب الله هم الغالبون»**[٥].

---

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ١، ص ٦٠٠.

(٢) م. ن، ج ١، ص ٦٠٠.

(٣) نهج البلاغة، الكتاب ٤٥.

(٤) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ٤، ص ٣٤١٥.

(٥) م. ن، ج ١، ص ٦٠٠.

كيف نستعيذ بالله من الشيطان؟

قال تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿**وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ**﴾[١]، وقال: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ**﴾[٢].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**أغلقوا أبواب المعصية بالاستعاذة، وافتحوا أبواب الطاعة بالتسمية**»[٣].

إنّ **كلمة (الاستعاذة) هي بمعنى:** العوذ؛ أي اللجوء والاحتماء من ضرر أو خوف وما شابه ذلك. ولذا فإنّ الله تعالى يطلب منّا أن نستعيذ به من همزات الشيطان وإغوائه؛ لأنّه جلَّ جلاله هو القادر على أن يعصمنا من شرّ الشيطان ويدفعه عنّا.

وهنا لا بُدَّ أن نُدرك حقيقة أنّ الشيطان رغم امتلاكه عدّة وسائل شيطانيّة ومتنوّعة، إلّا أنّ كيده في الواقع ضعيف وهزيل أمام الإنسان الثابت في إيمانه بالله العزيز الجبّار، والمستعين به في كلّ الأهوال والأحوال. وهذا ما أكّده القرآن الكريم لنا: ﴿**.. إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا**﴾[٤]، وفي قوله: ﴿**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾[٥].

والشيطان الرجيم يعترف بتلك الحقيقة، كما جاء في النصّ القرآنيّ: ﴿**وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم**﴾[٦].

نعم، من يتبّع الشيطان ويتولّه يكنْ للشيطان سلطان عليه، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا سُلْطَانُهُ**

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٩٧.

(٢) سورة الناس، الآيات: ١ ـ ٤.

(٣) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٩٢، ص ٢١٦، ح ٢٤.

(٤) سورة النساء، الآية: ٧٦.

(٥) سورة النحل، الآية: ٩٩.

(٦) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.

عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[١]، قال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[٢]. بل الشيطان يتبرّأ يوم القيامة ممّن اتّبعه: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾[٣].

إذاً لا بُدَّ أن نستعيذ بالله تعالى ونعتصم به من مكر الشيطان لكي نُبعد شرّه عنّا، وقد أرشدنا أهل البيت عليهم السلام إلى عدّة أمور في هذا الصدد:

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**قال إبليس: خمسة أشياء ليس لي فيهنّ حيلة، وسائر الناس في قبضتي:**

من اعتصم بالله عن نيّة صادقة واتّكل عليه في جميع أموره.

ومن كثر تسبيحه في ليله ونهاره.

ومن رضي لأخيه المؤمن بما يرضاه لنفسه.

ومن لم يجزع على المصيبة حين تُصيبه.

ومن رضي بما قسم الله له ولم يهتمّ لرزقه».

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**ألا أخبركم بشيء إن أنتم فعلتموه تباعد الشيطان منكم تباعد المشرق من المغرب؟**

قالوا: بلى.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**الصوم يُسوّد وجهه، والصدقة تكسر ظهره، والحبّ في الله والموازرة على العمل الصالح يقطعان دابره، والاستغفار يقطع وتينه**»[٤].

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٠.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٤٢.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.

(٤) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٤، ص ٦٢.

كما لا ننسى في نهاية هذا الحديث أن نُشير إلى مسألة هامّة في حياتنا، وهي أنّ الشياطين ليسوا من الجنّ فقط، بل هناك من الإنس من تلبّسهم الشيطان، وأصبح شرّهم أعظم من شرّه، قال تعالى: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ**﴾(١).

وهذا كليم الله موسى عليه السلام قد استعاذ بالله من شرّ وتكبّر فرعون: ﴿**وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ**﴾(٢).

كما أنّ الإمام الخمينيّ قدس سره قال كلمته المدوّية الّتي زلزلت عرش فرعون العصر أميركا وربيبتها الجرثومة السرطانيّة إسرائيل، قالها الإمام قدس سره صراحةً: «**أميركا الشيطان الأكبر**»، بل أكّد الإمام على أنّ: «**كلّ مصائبنا من أمريكا**».

أعاذ الله أمّتنا الإسلاميّة من شرّ الشيطان الأميركيّ - الإسرائيليّ كبيره وصغيره.

المفاهيم الأساس



١. لا بُدَّ للمؤمن أن يتّخذ الله تعالى وليّاً وأن يكون من أفراد حزبه، وأن يتّخذ الشيطان الرجيم عدوّاً ويتجنّب الوقوع في حزبه.

٢. إنّ مكائد الشيطان عديدة، منها:

- **التصدّي للمؤمن ليمنعه من ذكر الله سبحانه.**
- **تزيين الأعمال السيّئة على أنّها أعمال حسنة.**
- **استدراج الإنسان إلى مجالس الشياطين كمجالس اللهو والغناء.**

٣. الاستعاذة بالله تعالى والسير في حزبه هو طريق الخلاص من شرّ وكيد شياطين الإنس والجنّ.

---

(١) سورة الفلق، الآيتان: ١-٢.

(٢) سورة غافر، الآية: ٢٧.



للمطالعة:

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

«قال الله تبارك وتعالى لموسى عليه السلام : يا موسى! احفظ وصيّتي لك بأربعة أشياء :

أوّلهنّ: ما دمت لا ترى ذنوبك تُغفر فلا تشتغل بعيوب غيرك.

والثانية: ما دمت لا ترى كنوزي قد نفدت فلا تغتمّ بسبب رزقك.

والثالثة: ما دمت لا ترى زوال ملكي فلا ترجُ أحداً غيري.

والرابعة: ما دمت لا ترى الشيطان ميّتاً فلا تأمن مكره»[١] .

(١) الخصال، ح ٢١٧، ص ٤١.

العفو تاج المكارم

من دعاء أبي حمزة الثماليّ:

«... اللهمّ إنّك أنزلت في كتابك العفو، وأمرتنا أن نعفو عمّن ظلمنا، وقد ظلمنا أنفسنا، فاعف عنّا، فإنّك أولى بذلك منّا، وأمرتنا أن لا نردَّ سائلاً عن أبوابنا، وقد جئتك سائلاً فلا تردّني إلا بقضاء حاجتي، وأمرتنا بالإحسان إلى ما ملكت أيماننا، ونحن أرقّاؤك فاعتق رقابنا من النار».

الظلم

الظلم لغة: وضع الشيء في غير موضعه، فالشرك ظلم عظيم، لجعله موضع التوحيد عند المشركين.

وعرفاً هو: بخس الحقّ، والاعتداء على الآخرين، قولاً أو عملاً، كالسباب، والاغتياب، ومصادرة المال، واجترام الضرب أو القتل، ونحو ذلك من صور الظلامات الماديّة أو المعنويّة.

أنواع الظلم

يتنوّع الظلم صوراً نُشير إليها إشارة لامحة:

١. أوّل ما يتبادر إلى الذهن من أنواع الظلم هو ظلم الآخرين، سواء الظلم الفرديّ أو الاجتماعيّ، كأن يظلم الإنسان صديقه أو قريبه أو عائلته وأرحامه، أو كأن تظلم جماعة جماعة أخرى، أو كأن يظلم حاكم رعيّته، أو رئيس مرؤوسيه .

وأبشع المظالم الاجتماعيّة، ظلم الضعفاء، الّذين لا يستطيعون صدّ العدوان عنهم، ولا يملكون إلا الشكاة والضراعة إلى العادل الرحيم في أساهم وظلاماتهم.

فعن الباقر عليه السلام قال: لمّا حضر عليّ بن الحسين عليه السلام الوفاة، ضمّني إلى صدره، ثم قال: «**يا بُنيّ أُوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة، وبما ذكر أن أباه أوصاه، قال: يا بُنيّ إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلاّ الله تعالى**»[١] .

(١) الوافي، ج ٣، ص ١٦٢، عن الكافي.

٢- **ظلم الإنسان نفسه:** وهناك نوع من الظلم لا يلتفت إليه الكثير من الناس، وهو ظلم النفس، حيث يحسب الكثير منهم أنّهم أحرار اتّجاه ذواتهم، فيُسيئون إليها بأن يضعوها في المواضع الّتي لم يُرِد الله لهم أن يضعوها فيه، وأن يبخسوا حقّها، ويعتدوا عليها.

وبكلمة مختصرة ظلم النفس يتحصّل بعصيان الله وعدم طاعته.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[١].

قال تعالى: **﴿.. وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾**[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**ظلم نفسه من عصى الله وأطاع الشيطان**»[٣].

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**كتب رجل إلى أبي ذرّ (رضي الله عنه): يا أبا ذرّ! أطرفني بشيء من العلم.**

فكتب إليه: إنّ العلم كثير ولكن إن قدرت أن لا تُسيء إلى من تُحبُّه فافعل.

قال: فقال له الرجل: وهل رأيت أحداً يُسيء إلى من يُحبُّه؟!

فقال له: نعم، نفسك أحبُّ الأنفس إليك، فإذا أنت عصيت الله فقد أسأت إليها»[٤].

ومن يظلم نفسه الّتي هي أحبّ إليه من أيِّ شيء سيظلم غيره، يقول الأمير عليه السلام:

(١) سورة الشمس، الآيات: ٧ - ١٠.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ١.

(٣) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ٢، ص ١٧٨١.

(٤) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٤٥٨، ح ٢٠.

«كيف يعدل في غيره من يظلم نفسه؟!»[١].

«عجبت لمن يظلم نفسه كيف يُنصف غيره؟!»[٢].

«من ظلم نفسه كان لغيره أظلم»[٣].

هذا وظلم النفس قد يغفره اللّه إذا اعترف الإنسان بذنبه وتاب إلى ربّه توبة نصوح، وهـذا مـا أكّد عليه النصّ القرآنيّ: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[٤].

ولكنّ ظلم الآخرين أكثر تعقيداً

يقول رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**الدواوين عند الله ثلاثة: ديوان لا يعبأ الله به شيئاً، وديوان لا يترك الله منه شيئاً، وديوان لا يغفره الله.**

فأمّا الديوان الّذي لا يغفره اللّه فالشرك، قال اللّه تعالى: ﴿**إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ**﴾.

وأمّـا الديـوان الّذي لا يعبأ اللّه به شيئـاً فظلم العبد نفسه فيما بينـه وبين ربّه، من صوم يوم تركه، أو صلاة تركها، فإنّ اللّه يغفر ذلك ويتجاوز إن شاء اللّه.

وأمـا الديوان الّذي لا يترك اللّه منه شيئاً فظلـم العباد بعضهم بعضاً، القصاص لا محالة[٥].

ومن هنا كان من الحسن أن نعفو عمّن ظلمنا، لأنّنا إن لم نعفُ عنه، ابتعد عن رحمة اللّه، فكما تطلبون العفو من اللّه عن ظلم أنفسكم فاعفوا عن الناس عسى أن يغفر اللّه لكم.

---

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ٢، ص ١٧٨١.

(٢) م. ن، ص ١٧٨١.

(٣) م. ن، ص ١٧٨١.

(٤) سورة القصص، الآية: ١٦.

(٥) البداية والنهاية، ج ٢، ص ٥٦..

«اللهمّ إنّك أنزلت في كتابك العفو، وأمرتنا أن نعفو عمّن ظلمنا، وقد ظلمنا أنفسنا، فاعفُ عنّا، فإنّك أولى بذلك منّا..».

العفو والمغفرة:

إنّ الله جلّ جلاله واسع الرحمة والمغفرة، كما وصف ذاته المقدّسة في محكم كتابه الكريم: ﴿**إِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا**﴾[١].

ونحن عبيده التائهين في ظلمات الدنيا لسنا بغنى عن عفوه ومغفرته الواسعة، يقول أمير المؤمنين عليه السلام - في كتابه للأشتر لما ولّاه مصر -: «**ولا تنصبنّ نفسك لحرب الله، فإنّه لا يدلّك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته**»[٢].

وعنه عليه السلام - في المناجاة -: «**إلهي أفكّر في عفوك فتهون عليّ خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم عليّ بليّتي**»[٣].

ولكن نحن عبيده المتجرِّئون على معصيته في حضرة قدسه، نرى خيره إلينا نازلاً وشرّنا إليه صاعداً، فهو يُقبل علينا بالعفو والمغفرة، ونحن نعصيه بل نزداد عصياناً، وكأنّنا لا نعلم بأنّ المغفرة الإلهيّة تتنزّل على من اجتنب الذنوب والمعاصي، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**من تنزّه عن حُرمات الله سارع إليه عفو الله**»[٤]، وعنه عليه السلام: «**وكن لله مطيعاً، وبذكره آنساً، وتمثّل في حال تولّيك عنه إقباله عليك، يدعوك إلى عفوه، ويتغمّدك بفضله، وأنت متولٍّ عنه إلى غيره!**»[٥].

فحقاً يا إلهيّ وسيّدي ومولاي.. أنت كما وصفك أمير البلاغة عليه السلام: «**فإن عفوت**

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٣.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب ٢٧ و٥٣.

(٣) أمالي الصدوق، ص ٧٣، ح ٩.

(٤) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٧٥، ص ٩٠، ح ٩٥.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٣.

فمن أولى منك بذلك؟ وإن عذّبت فمن أعدل منك في الحُكم؟»[١].

لذا دعونا نرفع أكفّنا ونتوجّه بقلب خاشع خائف مُنكسر مُتذلّل، وبعين باكية راجية رحمة الله ومغفرته، وبلسان صدق يُردِّد مناجاة أمير المؤمنين عليه السلام: «**إلهي جودك بسط أملي، وعفوك أفضل من عملي...**

إلهي إن أخذتني بجرمي أخذتك بعفوك، وإن أخذتني بذنوبي أخذتك بمغفرتك...

فلا تجعلني ممّن صرفت عنه وجهك، وحجبه سهوه عن عفوك»[٢].

الصفح الجميل:

أن تتّصف بصفات الله جلّ جلاله وبأخلاق بيت النبوّة عليهم السلام، فهو الجميل بعينه، والله تبارك وتعالى قد حثّنا على أن نكون من أهل الصفح الجميل عمّن ظلمنا وأساء إلينا، قال سبحانه: ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ**﴾[٣].

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام - في قوله تعالى: ﴿**فَاصْفَحِ...**﴾ -: «**العفو من غير عتاب**»[٤]، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّا أهل بيت مروّتنا العفو عمّن ظلمنا**»[٥].

وهذا أمير المؤمنين عليه السلام يوصينا قائلاً: «**كن جميل العفو إذا قدرت، عاملاً بالعدل إذا ملكت**»[٦]، وكذلك يوصينا الإمام الصادق عليه السلام: «**اعف عمّن ظلمك كما إنّك تُحبّ أن يُعفى عنك، فاعتبر بعفو الله عنك**»[٧].

---

(١) البلد الأمين، ٣١٢، ٣١٦.
(٢) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٩١، ص ٩٧، ح ١٣.
(٣) سورة الحجر، الآية: ٨٥.
(٤) أمالي الصدوق، ص ٢٧٦، ح ١٤.
(٥) أمالي الصدوق، ص ٢٣٨، ح ٧.
(٦) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ٣، ص ٢٠١٤.
(٧) تحف العقول، ص ٣٠٥.

إذاً تُعتبر صفة العفو والصفح الجميل من أجمل مكارم الأخلاق الّتي يتخلّق بها المؤمن في الدنيا والآخرة، بل هي تاج المكارم كما يُعبِّر الإمام عليّ عليه السلام: «**العفو تاج المكارم**»[١]، وعن الإمام الصادق عليه السلام يقول: «**ثلاث من مكارم الدنيا والآخرة: تعفو عمّن ظلمك، وتصل من قطعك، وتحلُم إذا جُهِل عليك**»[٢].

مقام العافين عن الناس عند الله:

أن نكون من أهل العفو يعني أنّنا قد اتّصفنا بصفة أحبّها الله تعالى كما يقول رسول الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّ الله عفوّ يُحبُّ العفو**»[٣].

إضافة إلى أنّنا سنكون من المحسنين الّذين أيضاً أحبّهم الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[٤]، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**رأيت ليلة أُسري بي قصوراً مستوية مُشرفة على الجنة.**

فقلت: يا جبرائيل لمن هذا؟

فقال: للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يُحبُّ المحسنين»[٥].

فهنيئاً لمن فاز بهذا المقام، وهنيئاً لمن سيفوز بأجر الله تعالى الّذي وعد به في محكم كتابه العزيز: ﴿**وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾[٦].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا أُوقِف العباد نادى منادٍ: ليقم من أجرُه على الله وليدخل الجنة، قيل: من ذا الذي أجرُه على الله؟**

---

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ١، ص ٨٠٥، ح ١١١٢.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ١٠٧، ح٣.

(٣) كنز العمال، ح ٧٠٠٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

(٥) كنز العمال، ح ٧٠٠٣.

(٦) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

قال: العافون عن الناس»[١].

وعن الإمام عليّ عليه السلام قال: «**شيئان لا يوزن ثوابهما: العفو والعدل**»[٢].

كما إنّ من آثار وبركات التخلُّق بصفة العفو، أمور عدّة منها:

١- إنّ عفو الناس بعضهم عن بعض يُزيل الضغائن والأحقاد فيما بينهم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**تعافوا تسقط الضغائن بينكم**»[٣].

٢- إنّ اتّصاف المؤمن بصفة العفو يزيده عزّاً كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**عليكم بالعفو، فإنّ العفو لا يزيد العبد إلا عزّاً، فتعافوا يُعزّكم الله**»[٤]. ولا تحسبوا أن العفو عن الآخرين فيه ذلٌّ لكم.

٣- إنّ كثرة العفو والصفح الجميل عمَّن ظلمنا يزيد في العمر، قال نبيُّ الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم: «**من كثُر عفوه مُدّ في عمره**»[٥].

في المقابل قد حذّرنا أهل البيت من عقبات عدم اتّصافنا بصفة العفو، فعن الأمير عليه السلام: «**قلّة العفو أقبح العيوب، والتسرُّع إلى الانتقام أعظم الذنوب**»[٦].

وعنه عليه السلام: «**شرُّ الناس من لا يعفو عن الزلّة، ولا يستر العورة**»[٧].

نعم، هناك أناس لا ينبغي أن نعفو عنهم، وهم الّذين يزيدهم العفو سوءاً وتكبّراً. وقد أشارت روايات أهل البيت عليهم السلام إلى نماذج من هؤلاء، فعن الإمام عليّ عليه السلام قال: «**العفو يُفسد من اللئيم بقدر إصلاحه من الكريم**»[٨].

---

(١) كنز العمال، ح ٧٠٠٩.

(٢) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ٣، ص ٢٠١٣.

(٣) كنز العمال، ٧٠٠٣.

(٤) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ١٠٨، ح٥.

(٥) أعلام الدين، ٣١٥.

(٦) ميزان الحكمة، الريشهري، ج٣، ص ٢٠١٣.

(٧) ن. م، ص ٢٠١٣.

(٨) كنز الفوائد للكراجكي، ج ٢، ص ١٨٢.

وعنه عليه السلام: «**جازِ بالحسنة وتجاوز عن السيّئة ما لم يكن ثلماً في الدين أو وهناً في سلطان الإسلام**»[١].

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: «**حقُّ من أساءك أن تعفو عنه، وإن علمت أنّ العفو عنه يضرّ انتصرت، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾**»[٢].

فضيلة الإحسان:

لقد أمرنا المولى عزَّ وجلَّ أن نكون من المحسنين ومن أهل الإحسان، وهو القائل: **﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾**[٣] والقائل: **﴿.. وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾**[٤].

كما إنّ أهل البيت عليهم السلام قد حضّوا شيعتهم ومحبّيهم على التخلُّق بصفة الإحسان إلى من أساء إليهم وظلمهم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ألا أُخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة؟**

العفو عمّن ظلمك.

وتصل من قطعك.

والإحسان إلى من أساء إليك.

وإعطاء من حرمك»[٥].

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ٣، ص ٢٠١٥.

(٢) الخصال، ص ٥٧٠، ح١.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٤) سورة القصص، الآية: ٧٧.

(٥) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ١٠٧، ح١.

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «**لا منقبة أفضل من الإحسان**»[١].

وعنه عليه السلام: «**من كمال الإيمان مكافأة المسيء بالإحسان**»[٢].

وعنه عليه السلام: «**لو رأيتم الإحسان شخصاً لرأيتموه شكلاً جميلاً يفوق العالمين**»[٣].

ولذا فإنّ من يمنع الإحسان فعاقبته وخيمة، قال الإمام عليّ عليه السلام: «**من كتم الإحسان عوقب بالحرمان**»[٤]، إضافة إلى النهي عن المنّ على من نُحسن إليهم، قال الإمام عليّ عليه السلام: «**جمال الإحسان ترك الامتنان**»[٥]، بل كمال الإحسان وجماله ترك المنّ به كما يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**تمام الإحسان ترك المنّ به**»[٦].

إذا كان كلُّ هذا الترغيب والترهيب حول فضيلة الإحسان، فإنّه لما فيه من أجر عظيم عند الله تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[٧]، وعن الإمام عليّ عليه السلام قال: «**عليك بالإحسان، فإنّه أفضل زراعة، وأربح بضاعة**»[٨]، وعنه عليه السلام: «**نِعَم زاد المعاد الإحسان إلى العباد**»[٩].

هـذا فضلاً عن أثر المنفعة للمؤمنين فيما بينهم وصلاح شؤونهم، وإشاعة المحبّة وروح الأخوّة بفضل إحسان بعضنا إلى بعض طبقاً لما أوصانا به المحسن جلَّ جلاله وأهل بيت الإحسان عليهم السلام.

---

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج٣، ص ٢٤٣٤.
(٢) م. ن، ص ٣٧٢٢.
(٣) م. ن، ج ١، ص ٦٤٠.
(٤) م. ن، ص ٦٤٣.
(٥) م. ن، ص ٤١٦.
(٦) م. ن، ص ٦٤٤.
(٧) سورة هود، الآية: ١١٥.
(٨) ميزان الحكمة، الريشهري، ج١، ص ٦٤٠
(٩) م. ن، ص ٦٤٠.

قال أمير الإحسان والمحسنين الإمام عليّ عليه السلام: «**الإحسان محبّة**»[١]، وعنه عليه السلام: «**من كثُر إحسانه أحبّه إخوانه**»[٢].

بل بالإحسان نملك قلوب المؤمنين كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**بالإحسان تملك القلوب**»[٣]، لذا فإنّ المحسن هو حيٌّ ولو نُقل إلى عالم الأموات، قال ابن أبي طالب عليه السلام: «**المحسن حيٌّ وإن نُقِل إلى منازل الأموات**»[٤].

هذا وإنّ من عظمة الإسلام العزيز أنّ رحمته لم تقتصر على المؤمنين بالله جلّ جلاله فقط، بل نعمة الإحسان وبركاتها تشمل حتّى المشركين بالله تعالى كبرياؤه، وتسري إلى أعقاب أعقابه.

روي عن سلمان بن عامر الضبّيّ: قلت: «**يا رسول الله! إنّ أبي كان يُقري الضيف، ويُكرم الجار، ويفي بالذّمة، ويُعطي في النائبة، فما ينفعه ذلك؟**

قال صلى الله عليه وآله وسلم: **مات مُشركاً؟**

قلت: نعم.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: **أما إنّها لا تنفعه، ولكنّها تكون في عقبه إنّهم لن يُخزوا أبداً، ولن يُذلّوا أبداً، ولن يفتقروا أبداً**»[٥].

وهذا ما أشار إليه الإمام الكاظم عليه السلام - في قوله تعالى: ﴿**هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ**﴾ -: «**جرت في المؤمن والكافر والبِرّ والفاجر، من صنع إليه معروف فعليه أن يُكافئ به، وليست المكافأة أن تصنع كما صنع حتى ترى فضلك، فإن صنعت كما صنع فله الفضل بالابتداء**»[٦].

---

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج١، ص ٦٤٠.

(٢) م.ن.

(٣) م.ن.

(٤) م.ن.

(٥) كنز العمال، ح ١٦٤٩٥.

(٦) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج١، ص١٥٢.

هل قابلنا إحسان الله بالإحسان؟

إنّ من أسماء المولى عزَّ وجلَّ (المحسن)؛ وإحسانه يشمل مخلوقاته جميعاً لا سيّما أشرفهم وأكرمهم في الخليقة وهم البشر؛ حيث أنعم عليهم بالخير والبركات وجعل كلَّ الكائنات في خدمتهم.

ولكن نحن عبيده هل قابلنا هذا الإحسان بالإحسان كما أمرنا الله تعالى في محكم كتابه: ﴿**هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ**﴾[1]، أم إنّنا قابلناه بالذنوب والمعاصي والسيّئات؟! ألا نستحي من أنفسنا أن نُكافئَ المحسن بجزيل النعم بالإساءة وبالإعمال القبيحة الصادرة عنّا؟

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**عادة اللئام المكافأة بالقبيح عن الإحسان**»[2]، وعنه عليه السلام: «**شرُّ الناس من كافأ على الجميل بالقبيح**»[3].

هل نحن من اللئام..؟! وهل نحن من شرِّ الناس..؟!

فلنقف مع أنفسنا ولو قليلاً ونُحاسبها ونسألها إلى أين نحن ذاهبون؟! وكيف لنا أن نردَّ الجميل ونُقابل الإحسان بالإحسان؟

لكي نعرف الجواب الصائب ونسلك الطريق الصحيح، علينا أن نعود إلى منبع الحكمة والهدى..

روى عمر بن يزيد قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: «**إذا أحسن المؤمن عمله ضاعف الله عمله بكلِّ حسنة سبعمائة...**

فقلت له: وما الإحسان؟

---

(١) سورة الرحمن، الآية: ٦٠.

(٢) ميزان الحكمة، الريشهري، ج٣، ص ٢١٩٢.

(٣) عيون الحكم والمواعظ، الواسطي، ص ٢٩٥.

قال: فقال عليه السلام: إذا صلّيت فأحسن ركوعك وسجودك، وإذا صمت فتوقّ كلّ ما فيه فساد صومك... وكلّ عمل تعمله للّه فليكن نقيّاً من الدنس»[١].

وروي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم سُئل عن الإحسان، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك**»[٢].

إذاً، لكي نكون من المحسنين لا بُدَّ أن نأتي بأعمالنا على وجه حسن؛ أي الإخلاص للّه وحده وطاعته، قال تعالى: ﴿**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[٣].

وبالنتيجة: إنّ اللّه سبحانه في غنىً عنّا ونحن الفقراء إليه، أليس هو القائل: ﴿**إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا..**﴾[٤]، ﴿**وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾[٥]؟!

ويقول أمير المحسنين الإمام عليّ عليه السلام: «**إنّك إن أحسنت فنفسك تُكرم، وإليها تُحسن، إنّك إن أسأت فنفسك تمتهن وإياها تغبن**»[٦]؟!

مقام المحسن عند الله:

إنّ اللّه سبحانه يُحبُّ المحسنين: ﴿**..وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[٧]، بل ﴿**..إِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[٨]، وإنّ رحمته قريبة منهم: ﴿**إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[٩].

---

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٦٨، ص ٢٤٧.

(٢) م. ن، ج ٦٧، ص ٢١٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١١٢.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٧.

(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٦.

(٦) ميزان الحكمة، الريشهري، ج١، ص ٦٤٣.

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

(٨) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

(٩) سورة الأعراف، الآية: ٥٦.

أمّا جزاء المحسنين فالله تبارك وتعالى قد تكفّل به: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾(١) ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٢).



المفاهيم الأساس

١. ظلم النفس يعني التعدّي على حدود الله تعالى وحقوقه، ولكنّ الله برحمته الواسعة يعفو ويغفر لمن ظلم نفسه حينما يتوب ويؤدّي حقوق الله ويقوم بالواجبات الشرعية.

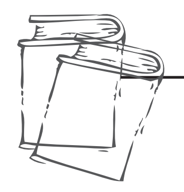
٢. التخلُّق بصفة العفو والصفح الجميل عمَّن ظلمنا وأساء إلينا لهو من الأخلاق الحميدة والكريمة.

٣. إنّ مقام العافين والمحسنين عند الله تعالى هو مقام تشمله الرحمة الإلهيّة والقرب منه جلَّ جلاله.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الزمر، الآية: ١٠.



للمطالعة:

من قصص تلامذة مدرسة أهل العفو والإحسان عليهم السلام :

كان مالك الأشتر (رضوان الله عليه) مارّاً في سوق الكوفة وعليه قميص خام وعمامة من خام أيضاً.. فرآه شخص عليه الطيش، فاحتقره لثيابه العادية هذه.. ورماه ببندقة من طين فلم يلتفت إليه الأشتر ومضى.

فقيل له: هل تعرف من رميت؟

قال: لا..

قيل: هذا مالك الأشتر صاحب أمير المؤمنين عليه السلام .

وقد كان حديث مالك بين الناس على كلِّ شفة ولسان.

فارتعد الرجل.. وتبع الأشتر ليعتذر إليه.. فوجده قد دخل مسجداً.. وهو قائم يُصلِّي. فلمّا فرغ من صلاته وقع الرجل على قدميه يُقبِّلهما.

فقال الأشتر: ما هذا؟

قال الرجل: أعتذر إليك ممّا صنعت.

قال الأشتر: لا بأس عليك فوالله ما دخلت المسجد إلّا لأستغفر لك.

(القصص العجيبة للشهيد دستغيب)

١٢

حلية الصالحين

من دعاء أبي حمزة الثماليّ:

«اللّهمّ ألحقني بصالح من مضى، واجعلني من صالح من بقي وخذ بي سبيل الصالحين، وأعنّي على نفسي بما تعين به الصالحين على أنفسهم، ولا تردّني في سوء استنقذتني منه أبداً، واختم عملي بأحسنه، واجعل ثوابي منه الجنّة، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللّهمّ إنّي أسألك إيماناً لا أجل له دون لقائك، أحيني ما أحييتني عليه، وتوفّني إذا توفّيتني عليه، وابعثني إذا بعثتني عليه».

تمهيد:

إنّ سلوك سبيل الصالحين والتحلّي بحِلْيتهم وسماتهم، هو باب النجاة والفوز يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله سبحانه بقلب سليم.

وسبيل الصالحين هو طريق ذات الشوكة، ويحتاج إلى جهاد وسعي ومثابرة، فطريق الجنّة حُفّت بالمكاره، وطريق النار حُفّت بالشهوات.

ومن يُحدّد طريقه هو نحن وما التوفيق والتسديد إلا من الله تبارك وتعالى.

سبيل الصالحين:

لقد قرأنا مع الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء أبي حمزة الثماليّ: «**اللّهمّ ألحقني بصالح من مضى، واجعلني من صالح من بقي وخذ بي سبيل الصالحين، وأعنّي على نفسي بما تُعين به الصالحين على أنفسهم..**».

نُلاحظ أنّ الإمام عليه السلام يدعو الله تعالى لأن يُلحقه بالصالحين وأن يُبقيه في سبيلهم، الأمر الذي يدفعنا للبحث عن هؤلاء الصالحين، واستكشاف سبيلهم وأحوالهم.

والسؤال الأهمّ: هل نحن من هؤلاء القوم الصالحين الّذين يتمنّى الإمام عليه السلام الالتحاق بهم؟!

وإذا لم نكن منهم فما السبيل للالتحاق بهم؟ وهل يُمكن أن نتّصف بصفاتهم وسماتهم؟

إنّ مقام الصالحين من المقامات العالية، الّتي جهد الأنبياء والأولياء في طلبها

وسؤالها من اللّه تعالى، فبلّغهم سبحانه ذلك، وهناك العديد من الشواهد القرآنيّة الّتي تحدّثت عن هذا الأمر:

- قال تعالى: ﴿**وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ**﴾(١).

- وقال: ﴿**وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾(٢).

- وأيضاً قال: ﴿**وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ**﴾(٣).

- ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ**﴾(٤).

- وهذا نبيّ اللّه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يسأل ربّه أن يهب له الولد الصالح: ﴿**وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ**﴾(٥).

- وعن نبيّ اللّه سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ يُخبر اللّه سبحانه: ﴿**.. وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين**﴾(٦).

ويذكر القرآن قوماً أسلموا من النصارى، سألوا اللّه تعالى أن يُدخلهم مع القوم الصالحين ﴿**وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا جَاءنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ**

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ٨٥، ٨٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآيتان: ٧٤، ٧٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٨٥.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٢٧.

(٥) سورة الصافات، الآيتان: ٩٩، ١٠١.

(٦) سورة النمل، الآية: ١٩.

أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾[(١)].

ولكي نلتحق بركب الصالحين من الأنبياء والأولياء علينا أن نقتدي بهم ونسلك سبيلهم الّذي أوضحه الله جلَّ جلاله في محكم كتابه العزيز: **﴿يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَـئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾**[(٢)].

فسبيل الصالحين هو الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر والأمر بالمعروف والخير، والنهي عن كل ما نهى عنه الله تعالى من منكر وسوء، فإذا فعلنا ذلك ظهرت علينا سمات الصالحين وأظهر الله بأيدينا آثارهم.

أنفسنا بين حسن العاقبة وسوء العاقبة:

يُناجي مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام الله جلَّ جلاله فيقول: «.. **وأعنّي على نفسي بما تُعين به الصالحين على أنفسهم، ولا تردّني في سوء استنقذتني منه أبداً، واختم عملي بأحسنه، واجعل ثوابي منه الجنّة، برحمتك يا أرحم الراحمين**».

نعم، **﴿وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**[(٣)]. هذه النفس الأمّارة الّتي حذّر الله تعالى نبيّه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم منها، قائلاً في حديث المعراج: «**يا أحمد لا تتزيّن بلبس اللباس وطيب الطعام ولين الوطاء، فإنّ النفس مأوى كلّ شر، ورفيق كلّ سوء تجرّها إلى طاعة الله وتجرّك إلى معصيته... وتطغى إذا شبعت وتشكو إذا جاعت، وتغضب إذا افتقرت وتتكبّر إذا استغنت، وتنسى إذا كبرت وتغفل إذا أمنت، وهي قرينة الشيطان. ومثل النفس كمثل النعامة، تأكل الكثير وإذا حُمل عليها لا تطير، ومثل الدفلي (الدفلي: نبت زهره كالورد الأحمر)، لونه حسن وطعمه مرّ**»[(٤)].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٨٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٤.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٥٣.

(٤) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٧٤، ص ٢٣.

نعم، هذه النفس الّتي يشكوها الإمام زين العابدين عليه السلام لله تعالى في مناجاته فيقول: «**إلهي إليك أشكو نفساً بالسوء أمّارة، وإلى الخطيئة مُبادرة، وبمعاصيك مولعة،... كثيرة العلل، طويلة الأمل، إن مسّها الشرّ تجزع، وإن مسّها الخير تمنع، ميّالة إلى اللعب واللهو، مملوءة بالغفلة والسهو، تُسرع بي إلى الحوبة، وتُسوّفني بالتوبة**»[١].

إذا هذه أنفسنا الّتي إن تركناها كيفما تشاء أخذتنا إلى الباطل والضياع إلّا ما رحم الله تعالى، قال سيّد الساجدين: عليه السلام: «**وأوهن قوّتنا عمّا يُسخطك علينا، ولا تُخلِّ في ذلك بين نفوسنا واختيارها، فإنّها مختارة للباطل إلّا ما وفّقت، أمّارة بالسوء إلا ما رحِمت**»[٢].

لذا الإنسان المؤمن يعيش حالة الخوف والترقّب من خاتمة حياته وخاتمة أعماله، ويعيش حالة التأرجح بين حسن العاقبة وسوء العاقبة، ولنِعم ما قاله الإمام عليّ عليه السلام: «**كلّ مخلوق يجري إلى ما لا يدري**»[٣].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا يزال المؤمن خائفاً من سوء العاقبة، لا يتيقّن الوصول إلى رضوان الله حتى يكون وقت نزع روحه وظهور ملك الموت**»[٤].

بالتالي فإنّ ملاك العمل بخواتيمه، عن السيد المسيح عليه السلام: «**إنّ الناس يقولون: إنّ البناء بأساسه وأنا لا أقول لكم كذلك.**

قالوا: فماذا تقول يا روح الله؟

قال: **بحق أقول لكم: إنّ آخر حجر يضعه العامل هو الأساس**»[٥].

---

(١) الصحيفة السجّاديّة.

(٢) م. ن.

(٣) غرر الحكم، ح ٢٢١٥.

(٤) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٢٤، ص ٢٧.

(٥) معاني الأخبار، ص ٣٤٨.

وقال رسول الله ﷺ: «**ملاك العمل خواتيمه**»[١].

وأن نختم أعمالنا وحياتنا بأحسن الأعمال وخيرها لا أن نختمها بسوء وشرّ، هو ما يرضي الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: «**خير الأمور خيرها عاقبة**»[٢]، وعنه عليه السلام: «**إنّ حقيقة السعادة أن يُختم للمرء عمله بالسعادة، وإنّ حقيقة الشقاء أن يُختم للمرء عمله بالشقاء**»[٣].

قال رسول الله ﷺ: «**إنّ الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنّة، ثم يُختم له بعمل أهل النار، وإنّ الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يُختم عمله بعمل أهل الجنّة**»[٤]. وهذا بحاجة للطف إلهيّ خاصّ، فلا ينبغي لنا أن نُسوّف التوبّة، فلعلّ الموت يُدركنا قبلها، ولا ينفع عند ذلك ندم.

يُحكى أنّ عابداً في بني إسرائيل اسمه (برصيصا) كان مُستجاب الدعوة. وكان بنو إسرائيل يستشفُون به وأصبح ممن تُنال منه البركة.

وذات يوم عرضوا عليه فتاة مجنونة، فباتت عنده، فسوّل له الشيطان أن يفعل معها الحرام!

وبعد أن أفاق من فعلته الشنيعة أراد أن يواري فعلته، فقتلها، وأخفى جُثّتها.

وشاء الله أن يفضحه فحُكم عليه بالصلب أمام أنظار الناس، وقبل أن يُنفّذ عليه حكم الإعدام، عرض له الشيطان مرّة أخرى، وقال له: ألا تُريد الخلاص من هذا الموت؟

قال العابد: بلى، وكيف ذلك؟

---

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ١، ص ٧٢٤.

(٢) أمالي الصدوق، ص ٥٧٧.

(٣) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ص ٣٤٥.

(٤) كنز العمال، ح ٥٤٥.

قال الشيطان: بأن تسجد لي فقط!

أجابه العابد: كيف أسجد لك وأنا على هذه الحالة؟

قال الشيطان: أكتفي منك بالإيماء، فأومأ العابد له، فكفر بالله ثم صُلب وخسر الدنيا والآخرة[١].

أرأيت هذا العابد كيف أنه بعد ارتكابه فاحشة الزنا يقوم بجريمة القتل؟...ثمّ ماذا؟ بدل أن يلجأ إلى رحمة الله الواسعة ويرجو العفو والمغفرة، تراه يرجو الخلاص من الشيطان، لتكون خاتمة أعماله أسوأ عاقبة!

لهذا يوصينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«لا عليكم أن تعجبوا بأحد حتى تنظروا بما يُختم له، فإنّ العامل يعمل زماناً من عمره أو برهة من دهره بعمل صالح لو مات عليه دخل الجنّة ثم يتحوّل فيعمل عملاً سيّئاً»**[٢].

كيف السبيل إلى حُسن العاقبة؟

هناك موجبات إن قُمنا بها كانت عاقبتنا حسنة وخاتمة حياتنا سعادة وخيراً، وفي المقابل هناك موجبات إن وقعنا فيها كانت عاقبتنا سيّئة وخاتمة حياتنا شقاءً وشرّاً.

فمن موجبات حُسن العاقبة، ما يلي:

١- الالتزام بعمود الدين، وميزان قبول الأعمال أو ردّها؛ أي صلاتنا. قال تعالى: ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى** ﴾[٣].

---

(١) راجع بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٤٨٦.

(٢) كنز العمال، ح ٥٨٩.

(٣) سورة طه، الآية: ١٣٢.

كما أوصانا الإمام الصادق عليه السلام بصلاة الليل قائلاً: «**عليكم بصلاة الليل فإنّها سنّة نبيّكم، ودأب الصالحين قبلكم، ومطردة الداء عن أجسادكم**»[١].

٢- تجنّب خصلة العلوّ والتكبّر على الآخرين مهما بلغنا من مقامات ومراتب في هذه الدنيا الدنيّة، وأن نُدرِك جيّداً أنّ المعيار عند الله تعالى ليس علمنا أو جهلنا، وليس أن نكون أغنياء أو فقراء... بل المعيار هو التقوى. قال تعالى: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[٢].

قال الإمام عليّ عليه السلام: «**إن الرجل ليُعجبُه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها**» أي تحت هذه الآية[٣].

٣- تعظيم الله سبحانه وحمده وشكره على جزيل نعمه، فضلاً عن إكرام عباده والإحسان إليهم، وأن نسعى في قضاء حوائجهم. قال الإمام الصادق عليه السلام: «**إن أردت أن يُختم بخير عملك حتى تُقبض وأنت في أفضل الأعمال فعظّم لله حقّه، أن تبذل نعماءه في معاصيه، وأن تغترّ بحلمه عنك، وأكرم كلّ من وجدته يُذكر منّا أو ينتحل مودّتنا**»[٤].

وعن الإمام الكاظم عليه السلام: «**إنّ خواتيم أعمالكم قضاء حوائج إخوانكم والإحسان إليهم ما قدرتم، وإلا لم يُقبل منكم عمل، حنّوا على إخوانكم، وارحموهم تلحقوا بنا**»[٥].

٤- أن نعلم علم اليقين القاطع الّذي لا يشوبه شكّ أو ظنّ، بأنّ كلّ سعادة نعيشها، وكلّ خير وتوفيق في هذه الدنيا هو من الله تعالى وفضله ورحمته، بل حتّى حالة

---

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٨٤، ص ١٤٩.

(٢) سورة القصص، الآية: ٨٣.

(٣) ميزان الحكمة، محمدي الريشهري، ج١، ص٣٦.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٧.

(٥) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٧٢، ص ٣٧٩.

الشقاء والصعاب الّتي نعيشها لا تخلو من لطف إلهيّ ونظرة رحمانيّة قد تُطهِّر قلوبنا وتُنقذنا من عذاب وعقاب أليم.

عن الإمام عليّ عليه السلام قال: - لمّا نظر إلى رجل أثّر الخوف عليه -: «**ما بالك؟**

قال: إنّي أخاف الله.

فقال عليه السلام: «**يا عبد الله خف ذنوبك، وخف عدل الله عليك في مظالم عباده، وأطعه فيما كلّفك، ولا تُعصه فيما يُصلحك، ثمّ لا تخف الله بعد ذلك فإنّه لا يظلم أحداً، ولا يُعذِّبه فوق استحقاقه أبداً، إلّا أن تخاف سوء العاقبة بأن تُغيِّر أو تُبدِّل، فإن أردت أن يؤمنك الله سوء العاقبة فاعلم أنّ ما تأتيه من خير فبفضل الله وتوفيقه، وما تأتيه من سوء فبإمهال الله وأنظاره إياك وحلمه وعفوه عنك**»[١].

أما موجبات سوء العاقبة، فمنها:

١- عدم الاعتبار بالأمم والمجتمعات السالفة وقراءة السنن الإلهيّة في خلقه، تلك الأمم الّتي كانت خاتمة دنياها سوء العاقبة وشرَّها. والله سبحانه قد دعانا في محكم كتابه العزيز إلى قراءة سننه وما جرى على هذه الأمم والمجتمعات: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾[٢]، وفي قوله: ﴿**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ**﴾[٣].

٢- وأيضاً من يصدّون عن سبيل الله ويحاربون من آمن به، فضلاً عن الكذب على الله سبحانه فأولئك لهم سوء العاقبة، قال تعالى: ﴿**وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُواْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾[٤]، وقال سبحانه: ﴿**بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا**

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٦٧، ص ٣٩٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٧.

(٣) سورة الأعراف، الآيات: ٨٤-٨٦.

(٤) سورة الأعراف، الآيات: ٨٤-٨٦.

﴿يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾[١].

ومضات نورانيّة:

- روى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه: «**أوحى الله إلى موسى بن عمران** عليه السلام:

يا موسى!

ارضَ بكسرة خبز من شعير تسدّ بها جوعتك، وخرقة تواري بها عورتك، واصبر على المصيبات.

فإذا رأيت الدنيا مُقبِلة فقل: إنا لله وإنا إليه راجعون عقوبة عُجّلت في الدنيا.

وإذا رأيت الدنيا مُدبِرة والفقر مُقبِلاً فقل: مرحباً بشعار الصالحين»[٢].

- وروي في حديث المعراج:

«**يا أحمد، عليك بالصمت، فإنّ أعمر مجلس قلوب الصالحين والصامتين.**

وإنّ أخرب مجلس قلوب المتكلّمين بما لا يعنيهم»[٣].

- وقال الإمام عليّ عليه السلام: «**ألا أيُّها الناس! إنّما الدنيا عرض حاضر يأكل منها البرّ والفاجر، وإنّ الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر**»[٤].

- **وفي دعاء مكارم الأخلاق يدعو الإمام زين العابدين** عليه السلام:

«**اللّهمّ صلِّ على محمد وآله وحلّني بحلية الصالحين، وألبسني زينة المتّقين في بسط العدل، وكظم الغيظ، وإطفاء النائرة، وضمِّ أهل الفرقة، وإصلاح ذات البين، وإفشاء العارفة، وستر العائبة، ولين العريكة، وخفض الجناح، وحسن السيرة،**

(١) سورة يونس، الآية: ٣٩.

(٢) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ١٣، ص ٣٦١.

(٣) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ٣، ص ٢٧٣٧.

(٤) م.ن، ج١، ص ٣٢.

وسكون الريح، وطيب المخالقة، والسبق إلى الفضيلة، وإيثار التفضُّل، وترك التعيير والإفضال على غير المستحقّ، والقول بالحق وإن عزّ، واستقلال الخير وإن كثُر من قولي وفعلي، واستكثار الشرّ وإن قلَّ من قولي وفعلي . وأكمل ذلك لي بدوام الطاعة، ولزوم الجماعة، ورفض أهل البدع ومستعملي الرأي المخترع»[١] .



المفاهيم الأساس

١. سبيل الصالحين الإيمان بالله والدعوة إليه وإعلاء كلمته.

٢. ذخيرة الصالحين في الدنيا والآخرة هو العمل الصالح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣. يعيش المؤمن في هذه الدنيا في صراع بين حسن الخاتمة وسوء الخاتمة، وما قبول الأعمال إلّا بخواتمها.

٤. إنّ التزام الطاعة الإلهية وابتغاء رضوانه هو السبيل إلى حسن العاقبة، وفي المقابل فإنّ ارتكاب المعاصي والذنوب هو السبيل إلى سوء العاقبة.

٥. من موجبات حسن العاقبة: الالتزام بالصلاة، تجنّب التكبُّر، قضاء حوائج الإخوان، ومن موجبات سوء العاقبة: عدم الاعتبار بالأمم السالفة، الكذب على الله تعالى.

---

(١) الصحيفة السجادية، الدعاء ٢٠.



للمطالعة:

ورد في الخبر أنّ (ذا القرنين) لمّا سار مع قومه طالباً عين الحياة، وصل إلى وادي الظلمات، فوطئ جماعته بأقدامهم شيئاً دون أن يعرفوا ما هو، فسألوه عنه.

فأجابهـم بكلام جميل: هذه الأرضـ من حمل منها شيئاً نـدم، ومن لم يحمل منها شيئاً ندم...

فبعضهـم قال: طالمـا أنّ العاقبة هي الندامة، فلماذا نحمـل؟ وبعضهم الآخر قال: نحمل فلن نخسر شيئاً..

فلمّـا صـاروا إلى النور نظـروا وإذا ما في أيديهم مجوهرات فالـذي لم يحمل ندم؛ والّذي حمل أيضاً ندم، لماذا لم يحمل أكثر؟!

مـن هذه القصـة القصيرة نستنتـج أنّ حياتنا أشبه ما تكون في هــذه الدنيا بوادي الظلمـات، وعندما نخرج من هذه الدنيا إلى عالم الآخـرة حيث النور الإلهيّ، ستنجلي الحقيقة أمام أعيننا...

فالّـذي عمل واجتهد سوف يندم أنّه لماذا لم يعمل أكثر؟ بل سيتحسّر على ما مضى من تحصيل المزيد من عظيم الثواب والأجر.

وأمّـا من لم يعمل شيئاً لآخرته وانشغل بملذّات الدنيا وشهواتها فسوف يندم ويعضّ على يديه ويصرخ باكياً: أرجعوني لعلي أعمل صالحاً..! ولكن هيهات...

الفهرس

المقدّمة **٥**

١ - الدعاء إجابة أم احتجاب ٧

الدعاء وأهميّته ٩

قد لا يستجاب الدعاء ١١

ظُلم الناس ١٤

من لا يردّ دعاؤه ١٥

٢ - البكاء **١٩**

الحزن والبكاء ٢١

صفة المتّقين ٢٣

بُكاء الخشية ٢٣

بُكاء الخوف ٢٥

٣ - ذكر الله شفاء للقلوب **٢٩**

أهميّة ذكر الله ٣٢

ذكر الله بُكرةً وأصيلا ٣٣

أقم الصلاة لذكري ٣٣

خصوصيّة ذكر الله في بعض المواقف ٣٤

صفات أهل الذكر ٣٥

مقام الذاكرين عند الله ٣٧

آثار ذكر الله على المؤمن ٣٨

ما يؤدّي إلى الغفلة عن ذكر الله تعالى ٤١

تبعات الغفلة ٤٢

٤ - تراحم المؤمنين ٤٥

عظمة حقّ المؤمن على أخيه ٤٧

مظاهر الأخوّة بين المؤمنين ٤٩

أ- الشمولية في الدعاء للمؤمنين والمؤمنات ٤٩

ب - التراحم والتعاطف بين المؤمنين ٥٢

د - السعي في قضاء حوائج المؤمنين ٥٣

ي - الاهتمام بأمور المؤمنين والنصيحة لهم ٥٤

النهي عن أذيّة المؤمنين وخذلانهم ٥٤

٥ - النِعَمُ الالهية ٥٩

نِعمُ الله لا تُحصى ٦١

أنواع النِّعَم الإلهيّة ٦٢

من مظاهر النِّعَم الإلهيّة ٦٢

من الأمور التي تُديم النِّعم وتزيدها ٦٨

٦ - القرب من الله ٧٥

من أسباب البعد عن الله تعالى ٧٨

١-الاستخفاف بحقّ الله والإعراض عنه ٧٨

٢-الكذب على الله ٧٩

٣-عدم شكر الله على نعمه ٨٠

٤-الابتعاد عن مجالس العلماء وحضور مجالس البطّالين ٨١

٥-ارتكاب الذنوب والآثام ٨٤

الدعاء والمناجاة ٨٥

الاستحياء من اللّه تعالى ٨٦
كيف ننال العفو الإلهي؟ ٨٧
الهروب من اللّه والى اللّه ٨٩

٧ - رجاء الخائفين ٩٣

مفهوم الرجاء والخوف ٩٥
المؤمن وحقيقة الرجاء ٩٦
تعادل الخوف والرجاء عند المؤمنين ٩٨
خطر اليأس من رحمة اللّه الواسعة وآثاره ٩٩
صفات الخائفين والراجين اللّه تعالى ١٠٠
قصة معبّرة.. ..... ١٠٢
وقفة تأمّل ١٠٣

٨ - نعمة الشكر ١٠٧

اللّه جلَّ جلاله غفور شكور ١١٠
كيف هي حقيقة شكرنا للّه تعالى؟ ١١١
من آثار شُكر المنعِم ١١٣
عاقبة عدم شُكر النعمة ١١٦
سجدة الشكر ١١٨

٩ - أعمارنا مهر سعادتنا ١٢٣

كيف نغتنم نعمة العمر؟ ١٢٦
فيمَ نغتنم أعمارنا ونستثمرها؟ ١٢٨
أرذل العمر! ١٢٩
الشاهد والحكمة الإلهيّة! ١٣٠

زيادة العمر والبرّ بالوالدين ١٣١
وصايا نورانيّة ١٣٣

١٠ - الاستعاذة باللّه سبيل النجاة من الشيطان ١٣٥
عداوة الشيطان للإنسان ١٣٨
مكائد الشيطان وتسلّطه على الإنسان ١٤٠
كيف نستعيذ باللّه من الشيطان؟ ١٥١

١١ - العفو تاج المكارم ١٥٥
الظلم ١٥٧
أنواع الظلم ١٥٧
ولكنّ ظلم الآخرين أكثر تعقيداً ١٥٩
العفو والمغفرة ١٦٠
الصفح الجميل ١٦١
مقام العافين عن الناس عند اللّه ١٦٢
فضيلة الإحسان ١٦٤
هل قابلنا إحسان اللّه بالإحسان؟ ١٦٧
مقام المحسن عند اللّه ١٦٨

١٢ - حلية الصالحين ١٧١
سبيل الصالحين ١٧٣
أنفسنا بين حسن العاقبة وسوء العاقبة ١٧٥
كيف السبيل إلى حُسن العاقبة؟ ١٧٨
ومضات نورانيّة ١٨١

الفهرس ١٨٥